لاجتها

في طلب لجها

للإمام المفسر عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمرو البصري ثم الدمشقي رحمه الله تعالى

علق عليها وخرج أحاديثها : كمال بن ثابت العدني

مقدمة الشيخ الفاضل
الناصح الأمين يحيى بن علي الحجوري
وفقه الله

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمدلله رب العالمين واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين.

أما بعد:

فإن رسالة "الاجتهاد في طلب الجهاد" للإمام ابن كثير رحمه الله رسالة علمية نافعة، شحنها ذلك الإمام بأدلة القرآن والسنة في موضوعها المهم، فهي من الرسائل المفيدة التي يتشرف أهل العلم بالعناية بها، وإخراجها للاستفادة منها، **وقد كتب الله شرف العناية بخدمة هذه الرسالة المختصرة، لأخينا البحاثة الفاضل/ الشيخ كمال بن ثابت العدني** وأضاف إليها مقدمة مناسبة طيبة من بابها، فجزاه الله خيراً ونفع به.

كتبه: يحيى بن علي الحجوري

في ١٠/ ربيع أول/ ١٤٣١هـ

صو غلا لمخطو

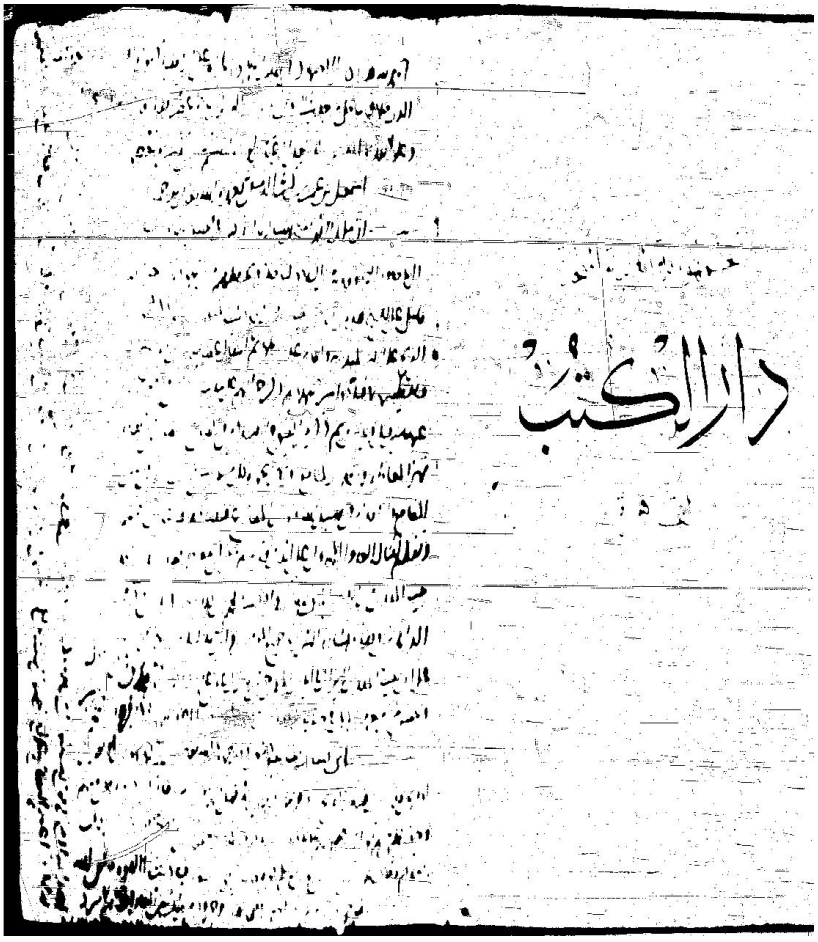

صو للوحة (١)

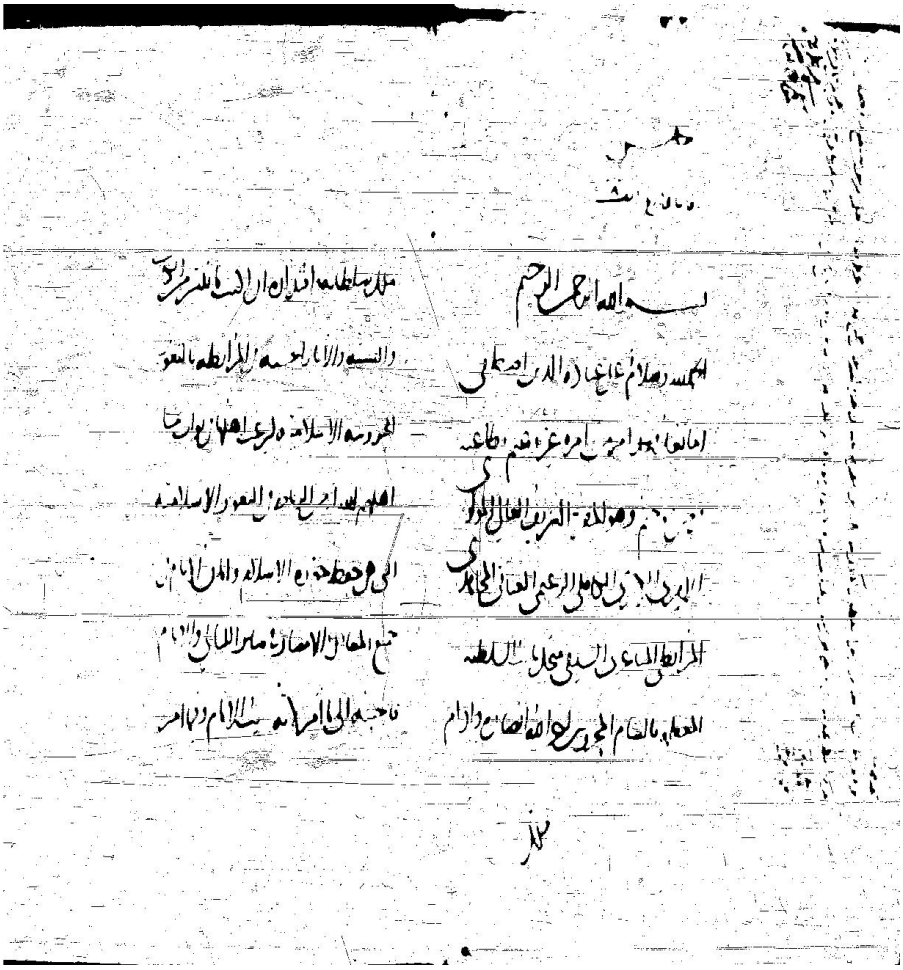

صو للوحة لأخ

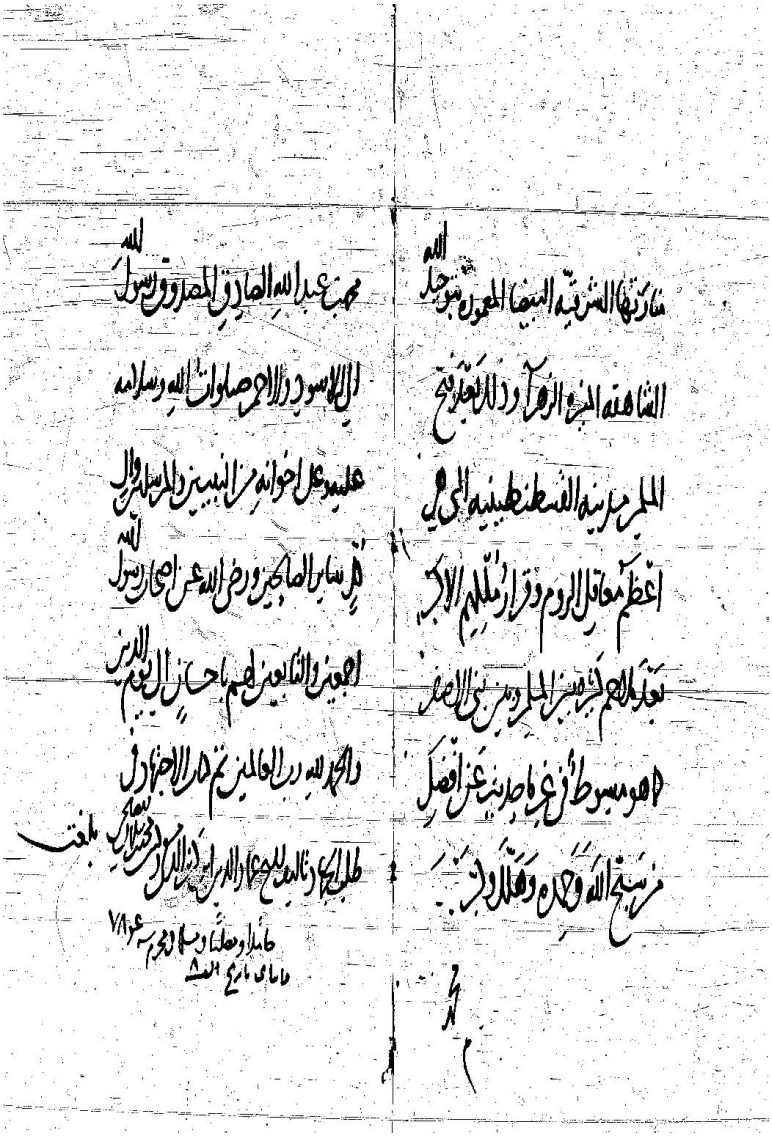

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ .

الحمد الله ذي الجلال والإكرام المتفضل علينا بالنعم في سائر الليالي والأيام، فله الحمد أولا وأخراً، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وسلم، ورضي الله عن أصحابه الكرام مصابيح الدجى وأنهار العلم والهدى.

وبعد:

إنه في حوادث سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة حصل في زماننا أمرٌ عظيمٌ وذلك أن سولت للرافضة أنفسهم الاعتداء على طلاب العلم والحديث من أهل السنة - في دار الحديث العامرة بالخير والسنة التي أسسها فضيلة العلامة محدث الديار اليمنية وتاج أهل الحديث في جزيرة العرب: شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله-.

وكان اعتداءهم وطيشهم وافتراءهم على طلاب العلم قد كثر وأصبحت أسلحتهم تنثر شررها على الصغار والكبار والنساء والرجال بدون حرمة ولا حياء من الله ولا من عباده المؤمنين، ولما كان شرهم في ازدياد واستمرار رفع الأمر إلى فضيلة الشيخ يحيى بن علي الحجوري وفقه الله وزاده علماً وبصيرة وهدىً – وشيخنا الحجوري هو خليفة العلامة الوادعي رحمه الله على دار الحديث السلفية بدماج- فما كان من الشيخ في أول الأمر إلا أن صبَّر أهل السنة على ذلك الاعتداء لعلى الله يصرف شرهم ومكرهم عن طلاب العلم والحديث في تلك البلاد العامرة، وحين كثر بغيهم وعدوانهم أمر الشيخ أمر حزم وهو خير ما فعل بأن أهل السنة يدفعون عن أنفسهم بغي هؤلاء الرافضة أتباع

اليهود والنصارى، فكان التأيد حاصل من ولى الأمر جزاه الله خيرا بأن يدفع أهل السنة، وغيرهم من المواطنين عن أنفسهم كل من اعتدى عليهم وأراد زعزعة أمنهم واستقرارهم.

فأخذ أهل السنة الحيطة والحذر فحرسوا بيوتهم ورابطوا على دارهم فما من أحد تسول له نفسه من هؤلاء الرافضة الأشرار الاعتداء على طلاب العلم إلا وجدوا صداً قوياً، ودفعاً منيعاً، بفضل الله وحده، حتى دحر الرافضة أشد ما نكل بهم كان في ذلك المكان بلاد دماج وكان الفضل لله عزوجل وحده، وما وفق الله به رجال دماج من أهل البلاد وطلاب العلم.

فهزم الله الرافضة هزيمة نكراء، وكتب التاريخ خزيهم وهزيمتهم على يد أهل السنة جزاهم الله خيراً حين كان البغي من الرافضة عليهم فدفعوا عن أنفسهم بغي الباغين وتهوك المتهوكين، ﴿**إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[يونس : ٢٣].

وإني كتبت هذه الكلمات تبياناً وتوضيحاً لبعض من شغل عن معرفة الأمور الواضحة مما يجري هنا، من قتالنا دفعاً للرافضة فكثرت الإشاعات والكذب في الجزائر وغيرها بزيادات ونقصان في الأقوال و النقولات على خلاف الحقيقة.

* فأصبح بعضهم يقول: إننا جماعات مسلحة؟ ! يشيرون بذلك أننا من تنظيم القاعدة، أو أننا من جماعة الجهاد؟ نعوذ بالله من ذلك، وهذا من الكذب

الذي ينشره من في قلبه مرض من حسد وغل على دار الحديث السلفية، والأمر كله كما بيناه سابقاً هو دفع كيد الرافضة أخزاهم الله.

وأيضاً نبين أن طلاب العلم إنما يحرس من حرس في يومه كما كنا نحرس من قبل إلا أنه يحتاط أكثر لغدر هؤلاء المكرة أهل الفجور والبغي من الرافضة، ويبقى بقية الطلاب وفقهم الله فيما هم فيه من طلب العلم والحفظ وأخذ الدروس العامة والخاصة في تلكم الدار المباركة دفع الله عنها مكر الماكرين.

* وبعضهم يقول: ما نحن فيه من دفع عدوان هؤلاء الرافضة ليس جهاداً شرعياً؟ ! وجهل هذا القائل، أن الجهاد أضرب وأنواع ومن ذلك جهاد الدفع وهو فرض عين على من اعتدي عليه وقدر أن يدفع عن نفسه حتى على النساء يجب عليهن إن اعتدي عليهن أن يدفعن عن أنفسهن، وليس ما أعلن من الجهاد على الرافضة إلا من هذا الصنف.

* وبعضهم يقول: إن قتال هؤلاء قتال بغاة وليس الرافضة بكفار؟!

وهذه المقولة تدل على غلط صاحبها فقد أبان شيخ الإسلام رحمه الله أن ذلك غلط وجهل ممن ينتسب إلى العلم فجعل قتال الرافضة كقتال البغاة الخارجين من شريعة الإسلام.

فقال رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٢٨ / ٤٨٦): ومن اعتقد من المنتسبين إلى العلم أو غيره أن قتال هؤلاء بمنزلة قتال البغاة الخارجين على الإمام بتأويل سائغ كقتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأهل الجمل وصفين: فهو غالط جاهل بحقيقة شريعة الإسلام وتخصيصه هؤلاء الخارجين عنها؛ فإن هؤلاء لو ساسوا البلاد التي يغلبون عليها بشريعة الإسلام كانوا

ملوكا كسائر الملوك؛ وإنما هم خارجون عن نفس شريعة رسول الله ﷺ وسنته شراً من خروج الخوارج الحرورية وليس لهم تأويل سائغ؛ فإن التأويل السائغ هو الجائز الذي يقر صاحبه عليه إذا لم يكن فيه جواب كتأويل العلماء المتنازعين في موارد الاجتهاد، وهؤلاء ليس لهم ذلك بالكتاب والسنة والإجماع ولكن لهم تأويل من جنس تأويل مانعي الزكاة والخوارج واليهود والنصارى، وتأويلهم شر تأويلات أهل الأهواء، ولكن هؤلاء المتفقهة لم يجدوا تحقيق هذه المسائل في مختصراتهم. اهـ كلامه المفيد رحمه الله

وأما كفر الرافضة فقد نقل إجماع أهل العلم على كفر الرافضة الإمامية، وعلى كفر من يسب الصحابة على تفصيل في كتب المعتقد.

فهذا ما حدث في هذه السنة ولعل بعض طلاب العلم يؤرخ ذلك على جهة التفصيل وذكر ما حصل من أحداث، وبينت هذا المختصر لأجل ما أنا فيه من تحقيق هذه الرسالة العلمية النافعة رسالة: **لاجتها في طلب لجها** للإمام المفسر ابن كثير رحمه الله.

وعملي في هذه الرسالة كالتالي:

أولاً: ضبطت النص على نسخة خطية، وكذا على نسخة وجدتها في الموسوعة الشاملة في الجهاز، إلا أنها فيها بعض الأخطاء، وكذا استفدت منها ما حصل في المخطوط من سقط، فقد تداركته من تلك النسخة.

ثانياً: ترجمت ترجمة مختصرة لابن كثير رحمه الله.

ثالثاً: أشرت إلى مقدمة في الجهاد الشرعي وأنواعه ومراتبه

رابعاً: حققت الأحاديث الواردة في الكتاب

خامساً: ذكرت بعض المصادر تأيداً، وإتماماً للفائدة.

ترجمة الإمام المفسر ابن كثير رحمه الله

ترجم ابن كثير لعائلته وكيف كان أول نشأته رحمه الله كما في "البداية والنهاية" (١٤ / ٣٦)، فقال في حوادث سنة (٧٠٣)هـ: فيها توفي الوالد وهو الخطيب شهاب الدين أبوحفص عمر بن كثير بن ضو بن كثير بن ضو ابن درع القرشي من بني حصلة، وهم ينتسبون إلى الشرف وبأيديهم نسب، وقف على بعضها شيخنا المزي فأعجبه ذلك وابتهج به، فصار يكتب في نسبي بسبب ذلك: القرشي، من قرية يقال لها الشركوين غربي بصرى، بينها وبين أذرعات، ولد بها في حدود سنة أربعين وستمائة، واشتغل بالعلم عند أخواله بني عقبة ببصرى، فقرأ البداية في مذهب أبي حنيفة، وحفظ جمل الزجاجي، وعني بالنحو والعربية واللغة، وحفظ أشعار العرب حتى كان يقول الشعر الجيد الفائق الرائق في المدح والمراثي وقليل من الهجاء، وقرر بمدارس بصرى بمنزل الناقة شمالي البلد حيث يزار، وهو المبرك المشهور عند الناس والله أعلم بصحة ذلك، ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقي بصرى وتمذهب للشافعي، وأخذ عن النواوي والشيخ تقي الدين الفزاري، وكان يكرمه ويحترمه فيما أخبرني شيخنا العلامة ابن الزملكاني، فأقام بها نحوا من ثنتي عشرة سنة، ثم تحول إلى خطابة مجيدل القرية التي منها الوالدة، فأقاما بها مدة طويلة في خير وكفاية وتلاوة كثيرة، وكان يخطب جيدا، وله مقول عند الناس، ولكلامه وقع لديانته وفصاحته وحلاوته، وكان يؤثر الإقامة في البلاد لما يرى فيها من الرفق ووجود

الحلال له ولعياله، وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة ومن أخرى قبلها، أكبرهم إسماعيل ثم يونس وإدريس، ثم من الوالدة عبد الوهاب وعبد العزيز ومحمد وأخوات عدة، ثم أنا أصغرهم، وسميت باسم الأخ إسماعيل؛ لأنه كان قد قدم دمشق فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده وقرأ مقدمة في النحو، وحفظ التنبيه وشرحه على العلامة تاج الدين الفزاري وحصل المنتخب في أصول الفقه، قاله لي شيخنا ابن الزملكاني، ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية فمكث أياما ومات، فوجد الوالد عليه وجدا كثيرا ورثاه بأبيات كثيرة، فلما ولدت له أنا بعد ذلك سماني باسمه، فأكبر أولاده إسماعيل وآخرهم وأصغرهم إسماعيل، فرحم الله من سلف وختم بخير لمن بقي، توفي والدي في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمائة، في قرية مجيدل القرية، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون وكنت إذ ذاك صغيرا ابن ثلاث سنين أو نحوها لا أدركه إلا كالحلم، ثم تحولنا من بعده في سنة سبع وسبعمائة إلى دمشق صحبة كمال الدين عبدالوهاب، وقد كان لنا شقيقا، وبنا رفيقا شفوقا، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين، فاشتغلت على يديه في العلم فيسر الله تعالى منه ما يسر، وسهل منه ما تعسر. اهـ المراد

وقال أبو المحاسن الدمشقي في "ذيل تذكرة الحفاظ" (٥٧): الشيخ الإمام العالم الحافظ المفيد البارع عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ذرع البصروي الأصل الدمشقي الشافعي.. وصاهر شيخنا الحافظ المزي فأكثر عنه وأفتى ودرس وناظر وبرع في الفقه والتفسير والنحو وأمعن النظر في الرجال والعلل وولي مشيخة أم الصالح والتنكزية بعد الذهبي، ذكره الذهبي في مسودة طبقات الحفاظ.

قلت – أي أبو المحاسن- فمن تصانيفه كتاب: "التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل" جمع بين كتاب التهذيب والميزان وهو خمس مجلدات، وكتاب: "البداية والنهاية" في أربعة وخمسين جزءاً، وكتاب: "الهدي والسنن في أحاديث المسانيد والسنن" جمع فيه بين مسند الإمام أحمد والبزار وأبي يعلي وابن أبي شيبة إلى الكتب الستة، وله غير ذلك. اهـ

قال ابن حجر رحمه الله في "إنباء الغمر بأبناء العمر" (١/ ٤٠٠): وقال ابن حبيب فيه: إمام ذوي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنف، وأطرب الأسماع بقوله وشنف، وحدث وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير. اهـ

* قال الحافظ ابن حجر في "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" (١/ ٣٥٦) في ترجمة: علي بن الحسن بن أبي الفضل بن جعفر بن محمد بن كثير الحلبي الرافضي: قدم دمشق وأقام بها سنوات فاتفق أنه شق الصفوف والناس في صلاة جنازة بالجامع الأموي وهو يلعن ويسب من ظلم آل محمد، فانتهره عماد الدين ابن كثير وأغرى به العامة، وقال: إن هذا يسب الصحابة فحملوه إلى القاضي تقي الدين السبكي فاعترف بسب أبي بكر وعمر فعقدوا له مجلساً فحكم نائب المالكي بضرب عنقه بعد أن كررت عليه التوبة ثلاثة أيام فأصر فضربت عنقه بسوق الخيل وحرق العوم جسده وذلك في جمادى الأولى سنة (٧٥٥)هـ.

* وقال الحافظ ابن حجر في "الدرر" (١/ ٤٠٣) في ترجمة: عمر بن عثمان بن هبة الله بن معمر العمري كمال الدين، قال: ومن عجيب أمره أنه انتزع درس الحديث بالأشرفية من الشيخ عماد الدين ابن كثير فمقته الطلبة وعدوا عليه غلطات وفلتات وتصحيفات. اهـ

أبرز شيوخه رحمهم الله

* الإمام إبراهيم بن عبدالرحمن الفزاري المشهور بابن الفركاح

* والإمام شهاب الدين المشهور بابن الشحّنة

* والإمام الكبير تقي الدين علم الأعلام وشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام.

قال العراقي: وكانت له خصوصية بالشيخ تقي الدين ابن تيمية ومناضلة عنه واتباع له في كثير من آرائه.

وقال ابن حجر: أخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتحن بسببه.

* شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي رحمه الله.

والذهبي هو ذلك الإمام الذي قال فيه السبكي كما في "الطبقات الشافعية الكبرى" (٩/ ١٠١): أستاذنا أبو عبدالله فبصر لا نظير له وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة إماما لوجود حفظا وذهب العصر معنى ولفظا وشيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال في كل سبيل كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها وكان محط رحال تغيبت ومنتهى رغبات من تغيبت تعمل المطي إلى جواره وتضرب البزل المهاري أكبادها فلا تبرح أو

تنبل نحو داره، وهو الذي خرجنا في هذه الصناعة وأدخلنا في عداد الجماعة جزاه الله عنا أفضل الجزاء وجعل حظه من غرفات الجنان موفر الأجزاء وسعده بدرا طالعا في سماء العلوم يذعن له الكبير والصغير من الكتب والعالي والنازل من الأجزاء. اهـ

* جمال الدين يوسف بن الزكي عبدالرحمن بن يوسف الدمشقي، وهو إمام الحديث والعلل في زمنه رحمه الله صهر ابن كثير زوجه ابنته زينب رحمها الله صاحب "تحفة الأشراف" ويعتبر من أعجب ما ألف وأبرز ما صنف.

مؤلفاته:

تقرب مؤلفاته رحمه الله التي ذكرت عنه أكثر من عشرين مؤلفاً مختلف الأحجام، منها ما قد طبع ومنها ما لم يطبع ومنها ما فقد، فمن ذلك:

* "البداية والنهاية" في التاريخ

* "الفصول في اختصار سيرة الرسول"

* "جامع المسانيد"

* "التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل"، ذكره عنه تلميذه الحسيني أبو المحاسن في "ذيل تذكرة الحفاظ" (٥٨).

* "تفسير القرآن العظيم"، وهذا من أجمل ما صنف، وقد تمدحه العلماء كثيراً، لتصنيفه هذا السفر.

قال السيوطي في "الحاوي للفتاوي (١/ ٤٨٦): قال النووي في "تهذيب الأسماء واللغات": كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله.

وقريب منه من تفاسير المتأخرين تفسير الحافظ عماد الدين ابن كثير وكذلك من أراد التكلم على آية تتعلق بالأخبار السابقة أو الآتية كأشراط الساعة وأحوال البرزخ والبعث والملكوت ونحو ذلك مما لا مجال للرأي فيه فالأولى أخذها من التفسيرين المذكورين.

قلت: لم أجده عن النووي إنما نقله النووي عن الخطيب البغدادي في تاريخه، كما في "تهذيب الأسماء واللغات" (١/ ٩٧).

وقال الشوكاني في "البدر الطالع" (١/ ١٥٣): قد جمع فيه فأوعى ونقل المذاهب والأخبار والآثار، وتكلم أحسن كلام وأنفسه وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها. اهـ

* الاجتهاد في طلب الجهاد

وهذه هي رسالتنا التي فيها العمل، وقد ذكرها عنه حاجي خليفة كما في "كشف الظنون" (١/ ١٠١)، وقال: هي رسالة كتبها للأمير منجك لما حاصر الفرنج قلعة إياس، وكذا ذكرها الزركلي في كتابه "الأعلام" (١/ ٣٢٠).

ومما يصحح نسبتها إليه ذكره في طيات الرسالة لكتابه "الفتن والملاحم". كما سيأتي.

وفاته رحمه الله

قال الحافظ في "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" (١/ ١٢٥): قال الذهبي في "المعجم المختص": الإمام، المفتي، المحدّث، البارع، فقيه، متفنن، مفسر، نقال، وله تصانيف مفيدة، مات في شعبان سنة (٧٧٤)هـ وكان قد أضر في أواخر عمره. اهـ

الجهاد ومراتبه وأنواعه

لما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام وقبته ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة كما لهم الرفعة في الدنيا فهم الأعلون في الدنيا والآخرة كان رسول الله ﷺ في الذروة العليا منه واستولى على أنواعه كلها فجاهد في الله حق جهاده بالقلب والجنان والدعوة والبيان والسيف والسنان وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده، ولهذا كان أرفع العالمين ذكرا وأعظمهم عند الله قدرا .

وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه وقال ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾، ولما كانت هذه منزلة الجهاد تواردت الأدلة من القرآن والسنة على فضله ومحبة الله له.

فالجهاد كما قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (٦/ ٥): الجهاد بكسر الجيم أصله لغة المشقة، يقال: جهدت جهاداً بلغت المشقة.

وشرعا: بذل الجهد في قتال الكفار.

فضل الجهاد في سبيل الله

* قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾[الصف: ٤].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

قال ابن القيم في زاد المعاد معلقاً على هذه الآية: وأعاضهم عليها الجنة وأن هذا العقد والوعد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن ثم أكد ذلك بإعلامهم أنه لا أحد أوفى بعهده منه تبارك وتعالى ثم أكد ذلك بأن أمرهم بأن يستبشروا ببيعهم الذي عاقدوه عليه ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم.

فليتأمل العاقد مع ربه عقد هذا التبايع ما أعظم خطره وأجله فإن الله عزوجل هو المشتري والثمن جنات النعيم والفوز برضاه والتمتع برؤيته هناك، والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه من الملائكة والبشر وإن سلعة هذا شأنها لقد هيئت لأمر عظيم وخطب جسيم:

قد هيئوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

مهر المحبة والجنة بذل النفس والمال لمالكهما الذي اشتراهما من المؤمنين فما للجبان المعرض المفلس وسوم هذه السلعة بالله ما هزلت فيستامها المفلسون ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون لقد أقيمت للعرض في سوق من يريد فلم يرض ربها لها بثمن دون بذل النفوس فتأخر البطالون وقام المحبون ينتظرون أيهم يصلح أن يكون نفسه الثمن فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤].

لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرفة الشجي فتنوع المدعون في الشهود فقيل لا تثبت هذه الدعوى إلا ببينة ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١]، فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الرسول في أفعاله وأقواله، وقيل لا

تقبل العدالة إلا بتزكية ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة: ٥٤]، فتأخر أكثر المدعين للمحبة وقام المجاهدون فقيل لهم إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فسلموا ما وقع عليه العقد فإن ﴿الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ وعقد التبايع يوجب التسليم من الجانبين فلما رأى التجار عظمة المشتري وقدر الثمن وجلالة قدر من جرى عقد التبايع على يديه ومقدار الكتاب الذي أثبت فيه هذا العقد عرفوا أن للسلعة قدرا وشأنا ليس لغيرها من السلع فرأوا من الخسران البين والغبن الفاحش أن يبيعوها بثمن بخس دراهم معدودة تذهب لذتها وشهوتها وتبقى تبعتها وحسرتها فإن فاعل ذلك معدود في جملة السفهاء فعقدوا مع المشتري بيعة الرضوان رضى واختيارا من غير ثبوت خيار وقالوا : والله لا نقيلك ولا نستقيلك فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا والآن فقد رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعاف أموالكم معها ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ [آل عمران: ٦٩]، لم نبتع منكم نفوسكم وأموالكم طلبا للربح عليكم بل ليظهر أثر الجود والكرم في قبول المعيب والإعطاء عليه أجل الأثمان ثم جمعنا لكم بين الثمن والمثمن

فَحَيّهَلَا إنْ كُنْتَ ذَا هِمّةٍ فَقَدْ ... حَدَا بِكَ حَادِي الشّوْقِ فَاطْوِ الْمَرَاحِلَا

وَقُلْ لِمُنَادِي حُبّهِمْ وَرِضَاهُمْ ... إذَا مَا دَعَا لَبّيْكَ أَلْفًا كَوَامِلَا

وَلَا تَنْظُرْ الْأَطْلَالَ مِنْ دُونِهِمْ فَإِنْ ... نَظَرْتَ إلَى الْأَطْلَالِ عُدْنَ حَوَائِلَا

وَلَا تَنْتَظِرْ بِالسّيْرِ رِفْقَةَ قَاعِدٍ ... وَدَعْهُ فَإِنّ الشّوْقَ يَكْفِيك حَامِلَا

وَخُذْ مِنْهُمْ زَادًا إلَيْهِمْ وَسِرْ عَلَى ... طَرِيقِ الْهُدَى وَالْحُبّ تُصْبِحْ وَاصِلًا

وَأَحْيِي بِذِكْرَاهُمْ شِرَاكَ إِذَا دَنَتْ ... رِكَابُكَ فَالذِّكْرَى تُعِيدُكَ عَامِلَا

وَأَمّا تَخَافَنّ الْكلَالَ فَقُلْ لَهَا ... أَمَامَكِ وَرْدُ الْوَصْلِ فَابْغِي الْمَنَاهِلَا

وَخُذْ قَبَسًا مَنْ نُورِهِمْ ثُمّ سِرْ بِهِ ... فَنُورُهُمْ يَهْدِيكَ لَيْسَ الْمُشَاعِلَا

وَحَيّ عَلَى وَادِي الْأَرَاكِ فَقِلْ بِهِ ... عَسَاكَ تَرَاهُمْ ثَمّ إِنْ كُنْتَ قَائِلَا

وَإِلّا فَفِي نَعْمَانَ عِنْدِي مُعَرّفُ الْـ ... أَحِبّةِ فَاطْلُبْهُمْ إِذَا كُنْتَ سَائِلَا

وَإِلّا فَفِي جَمْعٍ بِلَيْلَتِهِ فَإِنْ ... تَفُتْ فَمِنًى يَا وَيْحَ مَنْ كَانَ غَافِلًا

وَحَيّ عَلَى جَنّاتِ عَدْنٍ فَإِنّهَا ... مَنَازِلُكَ الْأُولَى بِهَا كُنْتَ نَازِلَا

وَلَكِنْ سَبَاكَ الْكَاشِحُونَ لِأَجْلِ ذَا ... وَقَفْت عَلَى الْأَطْلَالِ تَبْكِي الْمَنَازِلَا

وَحَيّ عَلَى يَوْمِ الْمَزِيدِ بِجَنّةِ الْـ ... خُلُودِ فَجُدْ بِالنّفْسِ إِنْ كُنْتَ بَاذِلَا

فَدَعْهَا رُسُومًا دَارِسَاتٍ فَمَا بِهَا ... مَقِيلٌ وَجَاوِزْهَا فَلَيْسَتْ مَنَازِلَا

رُسُومًا عَفَتْ يَنْتَابُهَا الْخَلْقُ كَمْ بِهَا ... قَتِيلٌ وَكَمْ فِيهَا لِذَا الْخَلْقِ قَاتِلَا

وَخُذْ يَمْنَةً عَنْهَا عَلَى الْمَنْهَجِ الّذِي ... عَلَيْهِ سَرى وَفْدُ الْأَحِبّةِ آهِلَا

وَقُلْ سَاعِدِي يَا نَفْسُ بِالصّبْرِ سَاعَةً ... فَعِنْدَ اللّقَا ذَا الْكَدّ يُصْبِحُ زَائِلَا

فَمَا هِيَ إِلّا سَاعَةٌ ثُمّ تَنْقَضِي ... وَيُصْبِحُ ذُو الْأَحْزَانِ فَرْحَانَ جَاذِلَا

لقد حرك الداعي إلى الله وإلى دار السلام النفوس الأبية والهمم العالية وأسمع منادي الإيمان من كانت له أذن واعية وأسمع الله من كان حيا فهزه السماع إلى منازل الأبرار وحدا به في طريق سيره فما حطت به رحاله إلا بدار . القرار. اهـ كلامه الجميل رحمه الله

* وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة : ٧٣]

* وقال تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد : ٣١]

* وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٠-١٢]

* وقال تعالى ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

قال ابن القيم على هذه الآية: عزاهم تعالى بعزاء آخر وهو أن جهادهم فيه إنما هو لأنفسهم وثمرته عائدة عليهم وأنه غني عن العالمين ومصلحة هذا الجهاد ترجع إليهم لا إليه سبحانه ثم أخبر أنه يدخلهم بجهادهم وإيمانهم في زمرة الصالحين .

الأدلة من السنة على فضل الجهاد

* حديث أبي هريرة رضي الله عنه «انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل» رواه البخاري رقم (٣٦) ومسلم رقم (١٨٧٦)

* وعنه: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة» رواه البخاري رقم (٢٧٨٧) ومسلم (١٨٧٨)

* وعنه: «غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها» رواه البخاري رقم (٢٧٩٣) ومسلم (١٨٨٢) وبمثله عن سهل بن سعد أخرجه البخاري (١٨٨١) ومسلم (١٨٨١)، وعن أنس مسلم (١٨٨٠)

* عن فضالة بن عبيد: «أنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في أعلى غرف الجنة من فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يموت حيث شاء أن يموت» أخرجه النسائي (٦/ ٢١) وابن حبان (٤٦١٩) والحاكم في المستدرك (٢/ ٨١)

* عن أبي سعيد رضي الله عنه: «مَنْ رَضِيَ بِاَللهّ رَبّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمّدٍ رَسُولًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنّةُ، فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيّ يَا رَسُولَ اللهّ فَفَعَلَ ثُمّ قَالَ رَسُولُ اللهّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ بِهَا الْعَبْدَ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنّةِ مَا بَيْنَ كُلّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنِ السّمَاءِ وَالْأَرْضِ قَالَ وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهّ ؟ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهّ». رواه مسلم برقم (١٨٨٤)

* عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه: «أبواب الجنة تحت ظلال السيوف» رواه البخاري برقم (٢٩٦٦) ومسلم برقم (١٧٤٢).

مراتب الجهاد

قال ابن القيم رحمه الله: فالجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

*** مراتب جهاد النفس فجهاد النفس أربع مراتب أيضاً:**

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماوات.

*** مراتب جهاد الشيطان مرتبتان:**

إحداهما: جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية: جهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات فالجهاد الأول: يكون بعده اليقين، والثاني: يكون بعده الصبر، قال تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة: ٢٤]، فأخبر أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة واليقين يدفع الشكوك والشبهات .

*** مراتب جهاد الكفار والمنافقين:**

أما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب بالقلب واللسان والمال والنفس وجهاد الكفار أخص باليد وجهاد المنافقين أخص باللسان.

*** جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات:**

أما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فثلاث مراتب الأولى: باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه، فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد و من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق. اهـ

شرط الجهاد

ولا يتم الجهاد إلا بالهجرة ولا الهجرة والجهاد إلا بالإيمان والراجون رحمة الله هم الذين قاموا بهذه الثلاثة، قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم﴾ [البقرة: ٢١٨]، وكما أن الإيمان فرض على كل أحد ففرض عليه هجرتان في كل وقت عز وجل بالتوحيد والإخلاص والإنابة والتوكل والخوف والرجاء والمحبة والتوبة

وهجرة إلى رسوله بالمتابعة والانقياد لأمره والتصديق بخبره وتقديم أمره وخبره على أمر غيره وخبره فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه وفرض عليه جهاد نفسه في ذات الله وجهاد شيطانه فهذا كله فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد، وأما جهاد الكفار والمنافقين فقد يكتفى فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصود الجهاد .

أنواع الجهاد:

الأول: جهاد الطلب، الثاني: جهاد الدفع

أما جهاد الطلب أي طلب العدو إلى مكانه وبلده فهو فرض كفائي له شروط وضوابط عند أهل العلم رحمه الله.

وأما جهاد الدفع فهو فرض عيني على كل من استطاع الدفع.

قال ابن تيمية كما في "الاختيارات" (٥٣٢): أما قتال الدفع: فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، فواجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم، فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم الكافر، وبين طلبه في بلاده. ا.هـ

وقال ابن القيم رحمه الله في "الفروسية" (٧٠-٧١): فإذا كانت المسابقة شرعت ليتعلم المؤمن القتال ويتعوده ويتمرن عليه؛ فمن المعلوم أن المجاهد قد يقصد دفع العدو، إذا كان المجاهد مطلوباً، والعدو طالباً، وقد يقصد الظفر

بالعدو ابتداء إذا كان طالباً والعدو مطلوباً، وقد يقصد كلا الأمرين، والأقسام الثلاثة يؤمر المؤمن فيها بالجهاد .

وجهاد الدفع أصعب من جهاد الطلب؛ فإن جهاد الدفع يشبه باب دفع الصائل ولهذا أبيح للمظلوم أن يدفع عن نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ [الحج:٣٩]، وقال النبي ﷺ : «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد»[1]؛ لأن دفع الصائل على الدين جهاد وقربة، ودفع الصائل على المال والنفس مباح ورخصة، فإن قتل فيه فهو شهيد؛

فقتال الدفع أوسع من قتال الطلب وأعم وجوباً، ولهذا يتعين على كل أحد يقم ويجاهد فيه: العبد بإذن سيده وبدون إذنه، والولد بدون إذن أبويه، والغريم بغير إذن غريمه، وهذا كجهاد المسلمين يوم أحد والخندق.

ولا يشترط في هذا النوع من الجهاد أن يكون العدو ضعفي المسلمين فما دون، فإنهم كانوا يوم أحد والخندق أضعاف المسلمين، فكان الجهاد واجباً عليهم؛ لأنه حينئذ جهاد ضرورة ودفع، لا جهاد اختيار، ولهذا تباح فيه صلاة الخوف بحسب الحال في هذا النوع وهل تباح في جهاد الطلب إذا خاف فوت العدو ولم يخف كرته؟ فيه قولان للعلماء هما روايتان عن الإمام أحمد.

ومعلوم أن الجهاد الذي يكون فيه الإنسان طالباً مطلوباً أوجب من هذا الجهاد الذي هو فيه طالب لا مطلوب، والنفوس فيه أرغب من الوجهين.

---

[1] أخرجه أبوداود حديث رقم (٤٧٧٢)، والترمذي حديث رقم (١٤٢١)، والنسائي حديث رقم (٤٠٩٥).
وأخرج المقطع الأول منه: «من قتل دون ماله» البخاري حديث رقم (٢٤٨٠)، ومسلم حديث رقم (١٤١).

وأما جهاد الطلب الخالص فلا يرغب فيه إلا أحد رجلين إما عظيم الإيمان يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله، وإما راغب في المغنم والسبي.

فجهاد الدفع يقصده كل أحد، ولا يرغب عنه إلا الجبان المذموم شرعاً وعقلاً، وجهاد الطلب الخالص لله يقصده سادات المؤمنين.

وأما الجهاد الذي يكون فيه طالباً مطلوباً فهذا يقصده خيار الناس؛ لإعلاء كلمة الله ودينه، ويقصده أوساطهم؛ للدفع ولمحبة الظفر.اهـ

وقال الشوكاني رحمه الله في "نيل الأوطار" (٨/ ٤٠): يجب استئذان الأبوين في الجهاد وبذلك قال الجمهور وجزموا بتحريم الجهاد إذا منع منه الأبوان أو أحدهما لأن برّهما فرض عين والجهاد فرض كفاية، فإذا تعين الجهاد فلا إذن. اهـ فظهر من كلامه رحمه الله أن الإذن في الجهاد إنما في جهاد الطلب أما جهاد الدفع فلا يشترط الإذن.

وهل يشترط إذن ولي الأمر في جهاد الدفع

قال عبدالله بن الإمام أحمد في "مسائله لأبيه" (٢/ ٢٥٨): سمعتُ أبي يقول: إذا أذن الإمامُ القومُ يأتيهم النفير فلا بأس أن يخرجوا.

قلتُ لأبي: فإن خرجوا بغير إذن الإمام؟ قال: لا، إلا أن يأذن الإمام، إلا أن يكون يفاجئهم أمرٌ مِن العدو ولا يُمكِنُهم أن يستأذنوا الإمام فأرجو أن يكون ذلك دفعاً مِن المسلمين. اهـ

وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله في "المغني" (٨/ ٣٦٧): لأن أمر الحرب موكول إليه، وهو أعلم بكثرة العدو وقلتهم، ومكامن العدو وكيدهم، فينبغي

أن يُرجع إلى رأيه؛ لأنه أحوط للمسلمين، إلا أن يتعذر استئذانه لمفاجأة عدوهم لهم، فلا يجب استئذانه، لأن المصلحة تتعين في قتالهم، والخروج إليهم، لتعين الفساد في تركهم، لذلك لما أغار الكفار على لقاح النبي ﷺ فصادفهم سلمة بن الأكوع خارجاً من المدينة، تبعهم فقاتلهم من غير إذن، فمدحه النبي ﷺ. اهـ

أيهما أفضل جهاد الدفع أما جهاد الطلب

قال العز بن عبدالسلام في "القواعد الصغرى" (١/ ١٤٢): لما علم الاحتياج إلى الجهاد شرع جهاد الدفع وجهاد الطلب وجهاد الدفع أفضل من جهاد الطلب.اهـ

الرد على من أنكر جهاد الطلب وزعم أنه ليس هناك جهاد إلا الدفع

قال العلامة ابن باز رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" له (٣/ ١٧١-٢٠١)، حيث قال رحمه الله: وقد تعلق القائلون بأن الجهاد للدفاع فقط بآيات ثلاث:

* الأولى: قوله جل وعلا: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا﴾ والجواب عن ذلك: أن هذه الآية ليس معناها القتال للدفاع ، وإنما معناها القتال لمن كان شأنه القتال : كالرجل المكلف القوي ، وترك من ليس شأنه القتال : كالمرأة والصبي ونحو ذلك ، ولهذا قال بعدها: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ فاتضح بطلان هذا القول ، ثم لو صح ما قالوا، فقد نسخت بآية السيف وانتهى الأمر بحمد الله.

* والآية الثانية التي احتج بها من قال بأن الجهاد للدفاع: هي قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ وهذه لا حجة فيها؛ لأنها على الأصح مخصوصة بأهل الكتاب والمجوس وأشباههم، فإنهم لا يكرهون على الدخول في الإسلام إذا بذلوا الجزية، هذا هو أحد القولين في معناها.

والقول الثاني: أنها منسوخة بآية السيف ولا حاجة للنسخ بل هي مخصوصة بأهل الكتاب كما جاء في التفسير عن عدة من الصحابة والسلف فهي مخصوصة بأهل الكتاب ونحوهم فلا يكرهون إذا أدوا الجزية، وهكذا من ألحق بهم من المجوس وغيرهم إذا أدوا الجزية فلا إكراه ، ولأن الراجح لدى أئمة الحديث والأصول أنه لا يصار إلى النسخ مع إمكان الجمع، وقد عرفت أن الجمع ممكن بما ذكرنا، فإن أبوا الإسلام والجزية قوتلوا كما دلت عليه الآيات الكريمات الأخرى.

* والآية الثالثة التي تعلق بها من قال أن الجهاد للدفاع فقط: قوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾.

قالوا: من اعتزلنا وكف عنا لم نقاتله، وقد عرفت أن هذا كان في حال ضعف المسلمين أول ما هاجروا إلى المدينة ثم نسخت بآية السيف وانتهى أمرها، أو أنها محمولة على أن هذا كان في حالة ضعف المسلمين فإذا قووا أمروا بالقتال كما هو القول الآخر كما عرفت وهو عدم النسخ، وبهذا يعلم بطلان هذا القول وأنه لا أساس له ولا وجه له من الصحة. اهـ

وإلى أصل الرسالة: الاجتهاد في طلب الجهاد

قال الإمام العلامة ابن كثير رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم .

فقد أمر من أمره عز وغنم وطاعته فرض وحتم وهو [المقر الشريف العالي المولوي الأميري الكبيري [الكاملي][1] الزعيمي [الغياثي][2] المجاهدي المرابطي المثاغري السيفي منجك][3] عند السلطنة المعظم بالشام المحروس أعز الله أنصاره وأدام ملك سلطانه واقتداره: أن أكتب ما تيسر من الكتاب والسنة والآثار لنعمة المرابطة[5] بالثغور المحروسة الإسلامية ليرغب أهلها في ثواب ما

---

[1] في نسخة الكافلي وما أثبتناه أقرب إلى نص المخطوط.

[2] في نسخة الغيائي وما أثبتناه أقرب للمعنى.

[3] وهو نائب مدينة اطرابلس عوضاً عن أسندمر الزيني كما ذكر ذلك في "السلوك لمعرفة دول الملوك" (٤/ ٣١١) في حوادث سنة تسع وستين وسبعمائة في المحرم قال: استقر الأمير منجك في نيابة طرابلس، عوضاً عن أسندمر الزيني. اهـ

[4] ما بين المعكوفين ألقاب تطلق على الأمراء والملوك في ذلك الزمان، وفي بعض المصادر ذكر مثل هذه الألقاب، فانظر مثلاً: "البداية والنهاية" (١٤/ ١١٠)، و"تاريخ الإسلام" للذهبي (الجزء الخمسين/ ٥٥)، "السلوك لمعرفة دول الملوك"، "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" (١/ ٤٥٣)، "عجائب الآثار" (١/ ٢٠٥)، "مرآة الجنان". وغيرها من المصادر التي تذكر مثل هذه الألقاب.

[5] الرباط بكسر الراء والموحدة الخفيفة ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم.

قال الحافظ في "فتح الباري" (٦/ ٨٥): قال ابن التين: بشرط أن يكون غير الوطن، قاله ابن حبيب عن مالك.

قلت: وفيه نظر في إطلاقه فقد يكون وطنه وينوي بالإقامة فيه دفع العدو، ومن ثم اختار كثير من السلف سكنى الثغور، فبين المرابطة والحراسة عموم وخصوص وجهي. اهـ =

أهلهم الله له من الرباط في الثغور الإسلامية التي هي حفظ حوزة الإسلام وأمان الأنام في جميع المعاقل والأمصار في سائر الليالي والأيام.

فأجبته إلى ما أمر لأنه نائب الإمام وفيما أمر طاعة لله ولرسوله عليه أفضل الصلاة والسلام.

وقد كنت جمعت في ذلك مجلداً بسيطاً فاختصرت منه منهجاً وسيطاً[1].

فأقول متوكلاً على العزيز الرحيم القوي المتين مقتدياً برسوله المبين الصادق المصدوق الأمين خاتم النبيين والمرسلين إلى جميع المكلفين من الأميين والأعجمين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ورضي الله عن جميع الصحابة والتابعين، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [التوبة: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ [التوبة: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٤ - ١٥].

= وقد بوب البخاري في صحيحه: باب فضل رباط يوم في سبيل الله وقول الله عزوجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠].

[1] أشار الزركلي في الأعلام (١/ ٣٢٠) إلى رسالة ابن كثير في الجهاد وهي غير التي بين أيدينا، فالله أعلم.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ * فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد : ١- ٩]، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ [الصف: ١٠- ١٣]، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١١- ١١٢] وقال تعالى ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ

﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة:٢١ - ٢٢].

* ولهذا قال أبو هريرة رضي الله عنه: « لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب ألي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود» رواه أبو حاتم ابن حبان في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال ذلك[١].

* وروى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها»[٢].

* وفي صحيح مسلم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:«رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه»[٣].

* وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ميت يختم على عمله إلا أنه مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر». رواه الإمام أحمد وهذا لفظه، وأبوداود

---

[١] لفظه عند ابن حبان «موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود» أخرجه برقم (٤٦٠٣) برجال ثقات.

[٢] أخرجه البخاري برقم (٢٨٩٢) والترمذي (١٦٦٦٤)

[٣] رواه مسلم برقم (١٩١٣)

والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن حبان في صحيحه أيضاً[1].

* وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله يجري عليه عمله حتى يبعث ويؤمن من الفتان» رواه الإمام أحمد[2].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من مات مرابطاً في سبيل الله أجري عليه عمله الصالح الذي كان يعمل ويجري عليه رزقه وأمن من الفتان وبعثه الله يوم القيامة أمناً من الفزع» رواه ابن ماجه[3].

* وعن أم الدرداء رضي الله عنها ترفع الحديث إلى رسول الله ﷺ أنه قال: « من رابط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزت عنه رباط سنة» رواه الإمام أحمد[1].

---

[1] حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٠) وأبوداود (٢٥٠٠) والترمذي (١٦١٢) وابن حبان في صحيحه (٤٦٢٤) والحاكم في المستدرك (٢/ ٨٨) وغيرهم.

[2] ضعيف الإسناد يشهد له ما قبله، أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٥٠) والدارمي (٢٤٢٥) وابن عبدالحكم في فتوح مصر (٢٨٩) والطبراني في الكبير (١٧/ ٨٤٨): كلهم يرونه من طريق ابن لهيعة، وعبدالله بن لهيعة عندنا ضعيف من قِبَلِ الاختلاط على الصحيح.

[3] حديث ضعيف الإسناد، يشهد له ما تقدم، أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٤) وعبدالرزاق في المصنف (٩٦٢٢) وفي سنده عندهما ابن لهيعة، وأخرجه ابن ماجه (٢٧١٧) وأبوعوانة (٥/ ٩١) وفي سنده عندهما معبد بن عبدالله بن هشام مجهول.
وأخرجه ابن أبي عاصم في الجهاد (٢٩٧) وابن حبان في المجروحين (٢/ ٥٩) من طريق عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو متروك، وجاء عن البيهقي في الشعب (٩٨٩٥) من طريق إبراهيم بن أبي يحي وهو كذاب، فالحديث بغير الطرق الهالكة يصلح للاحتجاج مع الشواهد المتقدمة.

* وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب الناس على المنبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم في سبيل الله أفضل أو قال خير من صيام شهر وقيامه ومن مات فيه وقي فتنة القبر ونمى له عمله إلى يوم القيامة» وقال: هذا حديث حسن[٢].

* وروى ابن ماجه بإسناد في غرابة وضعف - ولكن قد اغتفروا رواية الحديث الضعيف في الترغيبات[٣]؛ عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ:

= [١] حديث ضعيف، أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٣٦٢) والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣٩٤) وابن أبي عاصم في الجهاد (٣٠٧) والآحاد والمثاني (٣٣٥٥) والطبراني في الكبير (٢٤/ ٦٤٨) وفي سند الحديث: إسماعيل بن عياش روايته عن غير الشاميين ضعيفة، وهذه منها، وفي سنده أيضاً: إسحاق بن عبدالله الراوي عن أم الدرداء مجهول الحال.

[٢] هكذا في أصل المخطوط، والحديث حسن، فقد أخرجه أحمد (١/ ٦٢) وابن أبي عاصم في الجهاد (٢٩٩) من طريق ابن لهيعة، وتوبع ابن لهيعة بأبي معن محمد بن معن عند ابن المبارك في الجهاد (٧٢) والنسائي (٦/ ٤٠) وابن حبان (٤٦٠٩) والحاكم (٢/ ٦٨) والبيهقي في الشعب (٤٢٣٣).

[٣] رواية الحديث الضعيف في الترغيب والترهيب، قال ابن رجب رحمه الله في "شرحه العلل" (١/ ٣٧١): فقد رخص كثير من الأئمة في رواية الأحاديث الرقاق ونحوها عن الضعفاء منهم ابن مهدي وأحمد بن حنبل.. إنما يروي في الترهيب والترغيب والزهد والآداب أحاديث أهل الغفلة الذين لا يتهمون بالكذب، فأما أهل التهمة فيطرح حديثهم، كذا قال ابن أبي حاتم، وظاهر ما ذكره مسلم في مقدمة كتابه يقتضي أنه لا تروى أحاديث الترغيب والترهيب إلا عمن تروى عنه الأحكام. اهـ

قلت: وكلام مسلم في مقدمته (١/ ٢٨) قال: إذ الأخبار في أمر الدين إنما تأتي بتحليل أو تحريم أو أمر أو نهي أو ترغيب أو ترهيب فإذا كان الراوي لها ليس بمعدن للصدق والأمانة ثم أقدم على الرواية عنه من قد عرفه ولم يبين ما فيه لغيره ممن جهل معرفته كان آثما بفعله ذلك غاشا لعوام المسلمين إذ لا يؤمن على بعض من سمع تلك الأخبار أن يستعملها أو يستعمل بعضها ولعلها أو أكثرها أكاذيب لا أصل لها مع أن الأخبار الصحاح من رواية الثقات وأهل القناعة أكثر من أن يضطر إلى نقل من ليس بثقة ولا =

«لرباط يوم في سبيل الله من رواء عورة المسلمين في غير شهر رمضان أعظم أجراً من مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسباً في شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجراً أو قال من عبادة ألف سنة صيامها وقيامها فإن رده الله إلى أهله لم تكتب عليه سيئة ألف سنة وكتبت له الحسنات ويجري له أجر الرباط إلى يوم القيامة»[1].

* عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «حَرَسْ ليلةٍ في سبيل الله أفضل من صيام الرجل وقيامه في أهله ألف سنةٍ، السنة ثلاثمائة وستون يوماً اليوم كألف سنة» رواه ابن ماجه بإسناد غريب[2].

= مقنع ولا أحسب كثيرا ممن يعرج من الناس على ما وصفنا من هذه الأحاديث الضعاف والأسانيد المجهولة ويعتد بروايتها بعد معرفته بما فيها من التوهن والضعف إلا أن الذي يحمله على روايتها والاعتداد بها إرادة التكثر بذلك عند العوام ولأن يقال ما أكثر ما جمع فلان من الحديث وألف من العدد ومن ذهب في العلم هذا المذهب وسلك هذا الطريق فلا نصيب له فيه وكان بأن يسمى جاهلا أولى من أن ينسب إلى علم. اهـ

أقول: وقد أبان العلماء ضرر رواية الأحاديث الضعيفة في باب الترغيب والترهيب، فانظر ما أفاده شيخنا الحجوري في شرحه على البيقونية (٤٩) فقد ذكر مفاسد ذلك ومضاره.

[1] حديث موضوع: أخرجه ابن ماجه (٢٧٦٨)، قال البوصيري في زوائده (٢/ ٩٢٥): هذا إسناد ضعيف فيه محمد بن يعلى وهو ضعيف، وكذلك عمر بن صبيح، ومكحول لم يدرك أبي بن كعب ومع ذلك فهو مدلس وقد عنعنه.

قال المنذري كما في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٣٨٨): آثار الوضع ظاهرة عليه ولا عجب فراويه عمر بن صبيح الخراساني.

وقال ابن كثير رحمه الله في جامع المسانيد (١/ ١٥٠) عند حديث رقم (١٢٥): أخلق بهذا الحديث أن يكون موضوعاً لما فيه من الخارقة ولأنه من رواية عمر بن صبيح أحد الكذابين المعروفين بوضع الحديث.

[2] موضوع: رواه ابن ماجه (٢٧٧٠) والعقيلي في الضعفاء (١٤٩) وأبو يعلى في المسند (٣/ ١٠٦٠) وغيرهم من طريق سعيد بن خالد بن أبي الطويل عن أنس، وسعيد هذا =

* وروى ابن ماجه عن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رحم الله حارس الحرس»[١].

* وعن أبي ريحانة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حرمت النار على عين دمعت من خشية الله وحرمت على عين سهرت في سبيل الله» رواه أحمد والنسائي[٢].

* وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله اشعثٍ رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إ ن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفَّع»[٣].

= متهم بالوضع، قال البخاري فيه: فيه نظر، وقال الحاكم: روى عن أنس أحاديث موضوعة.
وقال المنذري: يشبه أن يكون موضوعاً.

[١] حديث منكر، رواه ابن ماجه (٢٧٦٩) وابن عساكر في تاريخه (٣٦/ ٣٧١) و(٤٩/ ١٥٩) وفي سنده صالح بن محمد بن زائدة قال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن عدي: بعض أحاديثه مستقيمة وبعضها فيها إنكار وهو من الضعفاء الذين يكتب حديثهم.

[٢] رواه أحمد (٤/ ١٣٤) والدارمي (٢٤٠٠) والنسائي في الكبرى (٩/ ١٤٩) والطبراني في الأوسط (٨/ ٣١٥) وفي إسناده: محمد بن سمير أو شمير، مجهول لم يرو إلا عن أبي شريح عبدالرحمن بن شريح، وذكره ابن حبان في الثقات، والحديث له شاهد عن أبي هريرة عند الحاكم رقم (٢٣٨٧)

[٣] رواه البخاري برقم (٢٨٨٧) وبوب البخاري عليه: باب الحراسة في الغزو في سبيل الله.

فصل

ولما هجم هؤلاء الكفرة من الفرنج لعنهم الله في محرم سنة سبع وستين وسبعمائة على ثغر الإسكندرية على حين غفلة من أهلها ونائبها وجيشها وحراس بلادها وحزنها وسهلاها فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً وقدرا مقدوراً، فحازوا من الأموال وقتلوا من الرجال وسبوا من النساء والأطفال ممن تخلف بها عن الهرب وكان معذورا واحتملوا من المتاجر قناطير مقنطرة، وساء لهم يوم القيامة حملاً، وبادروا إلى إحراز ذلك في مراكبهم التي ملئت غصبا وغضباً واستدرجهم القدر المقدور وأملى؛ فبينما هم في غيهم وإفسادهم وكفرهم وعنادهم إذ أقبلت رايات الإسلام وآيات العز والنصر عليهم تتلى فعندما يتحقق اللعين المخذول قدوم السلطان فر كما يفر الشيطان من سماع الأذان وابق إلى ملكه وولى وأقسم لو أقام حتى يدركه وجميع من معه أوائل الجيش المحمدي لرشقتهم القداح وسجرتهم الرماح وقطعتهم الصفاح وصيرتهم كأمس الذاهب صرعى وقتلى ولكنه فر كما ذكرنا فرار العبيد إذا أبقوا وهرب عندما عاين قترة الجيش الإسلامي هرب الخونة إذا سرقوا[1].

---

[1] قال تقي الدين أبو العباس المقريزي في "السلوك لمعرفة دول الملوك" (٤/ ٢٨٣) في حوادث سنة (سبع وستين وسبعمائة) في المحرم: فورد الخبر في يوم السبت رابع عشرينه بمنازلة الفرنج الإسكندرية، وأنهم قدموا يوم الأربعاء حادي عشرينه، فسرح الطائر بذلك إلى الأمير يلبغا، فتوهم أن تكون هذه مكيدة يكاد بها، فبادر ودخل إلى داره خارج القاهرة، وتبعه السلطان، فصعد القلعة في يوم الأحد خامس عشرينه، فلما تحقق الأمير يلبغا الخبر، عدى النيل من ساعته إلى البر الغربي، وتلاحق به أصحابه، ونودي بالقاهرة: من تأخر من الأجناد غداً حل دمه وماله فخرج الناس أفواجاً، وسار السلطان بعساكره إلى الطرانة، وقدم عسكراً عليه الأمير قطلوبغا المنصوري والأمير =

= كوكنداي، والأمير خليل بن قوصون ليدركوا أهل الثغر فقدر الله تعالى في ذلك أن أهل الثغر كان قد بلغهم منذ أشهر إهتمام الفرنج بغزوهم، فكتب بذلك الأمير صلاح الدين خليل بن عرام – متولي الثغر – إلى السلطان والأمير يلبغا، فلم يكن من الدولة اهتمام بأمرهم، فلما توجه ابن عرام إلى الحج، واستناب عنه في الثغر الأمير جنغرا – أحد أمراء العشرات – وجاء أوان قدوم مراكب البنادقة من الفرنج لاح للناظور عدة قلاع في البحر، ثم قدم في عسكره يوم الأربعاء حادي عشرينه إلى الميناء، ثمانية أغربة، وتلاها من الأغربة والقراقر ما بلغت عدتها ما بين سبعين إلى ثمانين قطعة. فأغلق المسلمون أبواب المدينة، وركبوا الأسوار بآلة الحرب، وخرجت طائفة إلى ظاهر البلد، وباتوا يتحارسون. وخرجوا بكرة يوم الخميس يريدون لقاء العدو، فلم يتحرك الفرنج لهم طول يومهم، وليلة الجمعة. فقدم بكرة يوم الجمعة طوايف من عربان البحيرة وغيرهم، ومضوا جهة المنار، وقد نزل من الفرنج جماعة في الليل بخيولهم، وكمنوا في الترب التي بظاهر المدينة. فلما تكاثر جمع المسلمين من العربان، وأهل الثغر، عند المنار، برز لهم غراب إلى بحر السلسلة، حتى قارب السور، فقاتله المسلمون قتالاً شديداً، قتل فيه عدة من الفرنج، واستشهد جماعة من المسلمين. وخرج إليهم أهل المدينة وصاروا فرقتين، فرقة مضت مع العربان، نحو المنار، وفرقة وقفت تقاتل الفرنج بالغراب. وخرجت الباعة والصبيان وصاروا في لهو، وليس لهم اكتراث بالعدو. فضرب الفرنج عند ذلك نفيرهم. فخرج الكمين وحملوا على المسلمين حملة منكرة. ورمى الفرنج من المراكب بالسهام، فانهزم المسلمون، وركب الفرنج أقفيتهم بالسيف. ونزل بقيتهم إلى البر فملكوه، بغير مانع وقدموا مراكبهم إلى الأسوار، فاستشهد خلق كثير من المسلمين، وهلك منهم في الازدحام عند عبور باب المدينة جماعة، وخلت الأسوار من الحماة، فنصب الفرنج سلالم ووضعوا السور، وأخذوا نحو الصناعة، فحرقوا ما بها، وألقوا النار فيها، ومضوا إلى باب السدرة، وعلقوا الصليب عليه، فانحشر الناس إلى باب رشيد، وأحرقوه، ومروا منه على وجوههم، وتركوا المدينة مفتوحة بما فيها للفرنج، وأخذ الأمير جنغرا ما كان في بيت المال، وقاد معه خمسين تاجراً من تجار الفرنج كانوا مسجونين عنده، ومضى هو وعامة الناس، إلى جهة دمنهور، فدخل وقت الضحى من يوم الجمعة، ملك قبرص – واسمه ربير بطرس بن ريوك – وشق المدينة وهو راكب، فاستلم الفرنج الناس بالسيف، ونهبوا ما وجدوه من صامت وناطق، وأسروا وسبوا خلائق كثيرة، وأحرقوا عدة أماكن، وهلك في الزحام، بباب رشيد، ما لا يقع عليه حصر، فأعلن الفرنج بدينهم، وانضم إليهم من كان بالثغر من النصارى، ودلوهم على دور الأغنياء، فأخذوا ما فيها، واستمروا كذلك، يقتلون، ويأسرون، ويسبون، =

ثم إنه لعنه الله خدعته نفسه اللعينة ومنته أمنيته المهينة واغتر بما أصاب من الإسكندرية واعتقد أن كل بيضاء شحمة وأن كل حمراء لحمة فطرق ثغر اطرابلس المحروس أوائل سنة تسع وستين وسبعمائة، وقد كان بعض منافقيها ممن هو على دينه وهو يخادع المسلمين، اعلمه أن نائبها ليس بها وقد عزل منها أيضاً حاجبها وتفرق جيشها في القسم ولم يبق منهم إلا الرسم، فأقبل المدبر في شواني مملؤة بكل لعين نصراني تزيد عدتها على المائة والثلاثين فلعنة الله على من فيها أجمعين، فنزلوا فلم يكن بها من المقاتلة من يحول بينهم وبين مقاصدهم التي حاولوا فقضوا إليها من المراكب وصارت جماعتهم فيها مواكب فعاثوا فيها فسادا ولكن لم يقضوا منها مراداً فبينما هم فيها وقد حلت الكلاب في خيس الأسود وتبدلت الوجوه المباركة النيرة بالوجوه الملعونة السود إذ جاءتهم

= وينهبون، ويحرقون، من ضحوة نهار الجمعة إلى بكر نهار الأحد، فرفعوا السيف، وخرجوا بالأسرى والغنائم إلى مراكبهم، وأقاموا بها إلى يوم الخميس ثامن عشرينه، ثم أقلعوا، ومعهم خمسة آلاف أسير، فكانت إقامتهم ثمانية أيام، وكانوا عدة طوائف، فكان فيهم من البنادقة أربعة وعشرون غراباً، ومن الجنوية غرابين، ومن أهل رودس عشرة أغربة، والفرنسيس في خمسة أغربة، وبقية الأغربة من أهل قبرص، وكان مسيرهم، عند قدوم الأمير يلبغا بمن معه، فلما قدم عليه الأمير قطلوبغا المنصوري، لم يجد معه سوى عشرين فارساً، وعليه، إقامة مائة فارس، فغضب عليه، ووجد الأمر قد فات، فكتب بذلك إلى السلطان، فعاد إلى القلعة، وبعث بابن عرام، نائب الإسكندرية على عادته، بأمر الأمير يلبغا بموارة من استشهد من المسلمين، ورام ما احترق، وغضب على جنغرا وهدده، وعاد فأخذ في التأهب لغزو الفرنج. وتتبعت النصارى، فقبض على جميع من بديار مصر، وبلاد الشام وغيرهما من الفرنج، وأحضر البطريق والنصارى، وألزموا بحمل أموالهم، لفكاك أسرى المسلمين من أيدي الفرنج، وكتب بذلك إلى البلاد الشامية، وتتبعت ديارات النصارى، التي بأعمال مصر كلها، وألزم سكانها بإظهار أموالهم وأوانيهم، وعوقبوا على ذلك، فكانت هذه الواقعة، من أشنع ما مر بالإسكندرية من الحوادث. اهـ

جنود من التراكمين متراكمين كانوا جيش الإسلام كالكمين فحملوا عليهم مكبرين وعلت الأصوات وارتفعت الدعوات إلى رب الأرض والسموات فنزل النصر وانخفض الكفر وانقلبوا هاربين وخرجوا منها صاغرين خاسئين خاسرين وقتل منهم المسلمون خلق لا يحصون. ولله الحمد والمنة[١].

فصل

ثم بعد ما حل بهم هذا كله من الخزي والنكال غرتهم أمانيهم الكاذبة الخايبة والآمال فسار وبمن بقي معهم من الجيش المخذول والجمع المرذول حتى نزلوا مدينة إياس[٢]، وقد حال بينهم وبين ما حاولوه منها اليأس فقيض الله تعالى مرور بعض أمراء الإسلام هنالك ولم يكن عنده علم من ذلك وهو المقر الشريف السيفي منجك المشير بتأليفه، ومسترق الشوس بجلاده وتأليفه أعز الله أنصاره ووكل بقهر العدى مقامه وأسفاره فعطف عليها فلما وصل إليها إذا

[١] وقال المقريزي في "السلوك" (٤/ ٣١١): سنة (تسع وستين وسبعمائة) في المحرم: استقر الأمير بيدمر الخوارزمي في نيابة الشام، والأمير منجك في نيابة طرابلس، عوضاً عن أسندمر الزيني.
وفي أول صفر: ورد الخبر بوصول الفرنج إلى اطرابلس، في مائة وثلاثين مركباً، ما بين شيني وقرقورة وغراب وطريدة، وشختور، عليها متملك قبرص، ومتملك رودس، والاسبتار، وكان النائب غائباً، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً، حتى اقتحم العدو المدينة، ونهبوا من أسواقها، فتحامل المسلمون عليهم واشتدوا في قتالهم، حتى أخرجوهم بعد ما قتلوا منهم نحو الألف، واستشهد من المسلمين نحو الأربعين رجلاً، فركبوا سفنهم وانقلبوا خايبين، فمروا بمدينة إياس في مائة قطعة، فسار إليهم الأمير منكلى بغا نائب حلب، وقد فر أهل إياس منها، فدخلها الفرنج. فلما قدم نائب حلب جلوا عنها. اهـ

[٢] مدينة على الشاطئ الجنوبي الشرقي لآسيا الصغرى كان الميناء الرئيسي لمملكة أرمينية الصغرى.

الشواني مشحونة بالمقاتلة الملعونة قد أحدقت بها من ناحية بحرها فمانعهم أعز الله أنصاره عن الوصول إلى السواحل فلم يقدر منهم على ذلك فارس ولا راجل هذا وليس معه من مماليكه سوى خمسة وثلاثين وجماعة دون المائتين من التراكمين، حينما أخبرني به أدام الله عافيته وأحسن عاقبته. أمين

ونادى في البلد أن ترفع النساء والذرية إلى القلعة المنصورة المحمية، فعدل جمع الفرنج المخذول عن مواجهة المقر المشار إليه إلى موضع آخر فنفضوا إلى الساحل حيث لا يصل إليهم ركابه الشريف ثم ساروا إلى ربض البلد وحاصروا القلعة [فواقعهم أعز الله أنصاره فكسرهم في أماكن متعددة، ومازال مصاولاً لهم مصابراً مرابطاً مثاغراً، حتى قدم الجيش الحلبي يقده المقر العالي السيفي منكل بغا في خاصة مماليكه، وأخبرني أنه حال ما وصل إليهم وجدهم ثلاثة كراديس سوداً والصلبان مرفوعة على رؤوسهم لعنهم الله، وكردوساً آخر دونهم في السواد، وإذ هو من التراكمين المنافقين الذين يخفون الشرك، يقاتلون المسلمين معهم، فلما تحققوا قدوم المقر السيفي منكل بغا تحيزت الكراديس الأربعة المذكورة المخذولة وصارت كردوساً واحداً، واجتمع المقر الشريف السيفي منجك إلى المقر الشريف السيفي منكل بغا، فأخبرني المقر السيفي منكل بغا][1] أن الفرنج رشقوهم بالنبال إلى أن توارى وجه الأرض فلا يرى منها شيء لكثرتها وكثرة الجروح من تلك الجروح في الجيش الإسلامي ورشقهم المسلمون رشقا منكيا حتى إن من الأمراء المسلمين من كان يرمي الفرنجي فيصيب بركبته وعليها غلاف من حديد فينتظم الغلاف مع الركبة بسهمه، ثم انهزم الفرنج من بين أيديهم [فلبسوا] تلاً هنالك ثم رشقوا

[1] في نسخة من المخطوط سقط ما بين القوسين.

المسلمين بالحجارة أعظم مما رشقوهم بالنبال أولا، ثم أخذ عليه المقر السيفي منكل بغا طريقهم إلى مراكبهم وقتل شيئاً كثيراً من خيولهم ففروا إلى البحر لا يلوي أحد منهم على أحد فرشقهم المسلمون رشقاً عظيماً بالنبال وقتلوا منهم خلقاً عظيماً وغرق منهم أكثر ممن قتل، وقتل صاحب جزيرة رودس وجرح صاحب قبرس [جرحاً منكياً][1] وهلك منهم خلق كثير ورجعوا خائبين خاسرين أعظم خيبة من خيبتهم من اطرابلس، ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾؛ وكانوا حسبوا أن بجمعهم الكثير يحصلون على شيء والقدر يتلو عليهم مما هو محكم في كتاب الله العزيز المقتدر قوله تعالى ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ وراموا أنهم يحصلون على شيء من تلك المعاقل والحصون، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ وهذه عوائد نصر الله جمع المسلمين وإن كانوا قليلا وما هو بأول موطن نصر الله فيه المسلمون مع قلتهم ولكن قضي الله أمراً كان مفعولاً، وأن لهم ذلك وفي كل ثغر من ثغور السواحل الإسلامية من الجيوش السلطانية والرجال المحمدية الذي قد أخلص كل منهم النية لرب البرية أمم تحملهم على نصر دين الله نفوسهم الأبية [وحجتهم][2] ما أمرهم به رب الأرباب على لسان سيد الأولين والآخرين الأعاجم والأعراب من أعداد العدد التي أصنافها الرماح الخطية والسيوف الهندية والسهام المفوقة عن القسي العربية إلى غير ذلك مما يطول وصفه ويقرب به إلى العدو حتفه والعزيمة الصارمة وهي كفاية والنية الصادقة التي أعلى منازل الجنة لها نهاية .

---

[1] ثابتة في المخطوط.

[2] في المطبوع: [وصحبتهم] وما أثبتناه من المخطوط أوفق بالمقام.

فصل

كانت بلاد الشام بكمالها وبلاد الجزيرة وبلاد الروم إلى القسطنطينية وتلك التخوم وسائر بلاد البحور كجزيرة قبرس ورودس وجزيرة الأندلس والجزيرة الخضراء كلها مشحونة قبل الإسلام بالنصارى على اختلاف أجناسهم وأصنافهم ومذاهبهم من المالكية، واليعقوبية، والنسطورية[1].

فلما جاء الإسلام على يدي سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام فأدى الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده ومهد الله على يديه جزيرة

---

[1] قال الشهرستاني في "الملل والنحل" (١/ ٦٩): افترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة؛ وكبار فرقهم ثلاثة: الملكانية والنسطورية، واليعقوبية. وانشعبت منها: الإليانية، والبليارسية، والمقدانوسية، والسبالية، والبوطنوسية، والبولية... على سائر الفرق.

* الملكانية: أصحاب ملكا، الذي ظهر بأرض الروم، واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية. قالوا: إن الكلمة أحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته: ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس: أقنوم الحياة؛ ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابناً، بل المسيح مع ما تدرع به ابن: فقال بعضهم: إن الكلمة ما زجت جسد المسيح؛ كما يمازج الخمر أو الماء اللبن.

* النسطورية: أصحاب: نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة، قال أي: نسطور: إن الله تعالى واحد، ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة؛ وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام: لا على طريق الامتزاج؛ كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور به؛ كما قالت اليعقوبية، ولكن؛ كإشراق الشمس في كوة على بلورة، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم.

* اليعقوبية أصحاب: يعقوب. قالوا بالأقانيم الثلاثة كما ذكرنا؛ إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودماً؛ فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو: هو.

وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم. فمنهم من قال: إن المسيح هو الله تعالى. اهـ

انظر في فرق النصارى: "الفصل في الملل والنحل" لابن حزم (١/ ٢٧).

العرب بكمالها وبلاد اليمن والبحرين وما قارب تلك النواحي، وركب في ثلاثين ألفاً من أصحابه[١]، لدخول الشام[٢]، امتثالاً لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]، ولقوله تعالى ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، فسار عليه السلام حتى وصل إلى تبوك مرابض الشام ومن عزمه عليه السلام أن يقاتل هرقل الذي هو يومئذ قيصر الشام أي ملكها، فوجد الزمان حراً شديداً مع قلة ما معهم من الزاد والظهر، فرجع عامه ذلك هنالك.

فحج عليه السلام حجة الوداع سنة عشر من الهجرة ثم عاد من مكة إلى المدينة فاختار الله له ما عنده من المنزلة العالية الرفيعة التي هي أعلى منازل الجنة المسماة بالوسيلة[٣].

وكانت وفاته ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة[١].

---

[١] انظر في ذلك: "فتح الباري" (٦/ ٢٤٢) و"السيرة" لابن هشام (٤/ ٥٢٠) و"السيرة الصحيحة" للعمري (٢/ ٥٣١).

٢ وهذه الغزوة تسمى بغزوة تبوك، التي كانت في رجب في السنة التاسعة من الهجرة

٣ قال ابن كثير رحمه الله في "المختصر في أخبار البشر" (١/ ١٠٤): واختلف في مدة عمره، فالمشهور أنه ثلاث وستون سنة، وقيل خمس وستون سنة، وقيل ستون سنة، والمختار أنه بعث لأربعين سنة، وأقام بمكة يدعو إلى الإسلام ثلاث عشرة سنة وكسراً، وأقام بالمدينة بعد الهجرة قريب عشر سنين، فذلك ثلاث وستون سنة وكسور، وقد مضى ذكره وتحقيقه عند ذكر الهجرة. اهـ

فقام بالأمر بعده خليفته أبوبكر الصديق رضي الله عنه[٢]، فجهز الجيوش الإسلامية إلى العراق لقتال كسر ملك الفرس مع خالد بن الوليد والي الشام لقتال قيصر ملك النصارى بها، صحبه الأمراء الأربعة وهم: أمير الأمراء أبوعبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح الفهري ويزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية العدوي وهو أول أمير ناب بدمشق والأمير الثالث شرحبيل بن

= [١] قال ابن كثير في "المختصر في أخبار البشر" (١/ ١٠٣): وكانت وفاته ﷺ يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، فعلى هذه الرواية يكون يوم وفاته موافقاً ليوم مولده ﷺ. اهـ

[٢] قال بهاء الدين محمد بن يوسف الكندي في "السلوك في طبقات العلماء والملوك" (١/ ١٦٤): كان مبدأ خلافة الصديق يوم توفي رسول الله ﷺ من الاثنين ثاني شهر ربيع الأول وعلى وفاة عشر من الهجرة وقد مضى بيان بيعة المسلمين له وأنها كانت في اليوم الأول؛ ومن عجيب ما حدث أيام خلافة الصديق باليمن أنه حصل مطر عظيم فأبرز عن باب مغلق وظن الناس أنه كنز وهابوا فتحه دون مشاورة الخليفة فكتبوا إلى أبي بكر يعلمونه بذلك فعاد جوابه إلى عامل البلد أن لا يترك أحدا يقرب الموضع حتى يقدم أمناؤه ثم لما قدم الأمناء فتحوا الباب فإذا هو على مغارة فدخلوها وإذا بها سرير عليه رجل فوقه سبعون حلة منسوجة بالذهب وبيده اليمنى لوح فيه مكتوب:

إذا خان الأمير وكاتباه ... وقاضي الأرض داهن بالقضاء

فويل ثم ويل ثم ويل ... لقاضي الأرض من قاضي السماء

وفي كفه الأيسر خاتم عليه مكتوب: ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾، وعند رأسه مكتوب:

يا لائمي في هجرهم جاهلا ... عذري منقوش على خاتمي

ثم سيف أشد خضرة من البقلة مكتوب عليه: هذا سيف هود بن عاد بن إرم

وهذا أعجب ما جرى في اليمن بأيام أبي بكر ولم يزل اليمن بيد الأمراء المتقدمين مذ خلافته حتى كانت وفاته يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وكان آخر كلام سمع منه رضي الله عنه: ﴿رب توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾ وكان رزقه من بيت المال كل عام ثلاثمائة دينار بعد أن بلغ عمره ثلاثا وستين سنة وخلافته سنتان وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما وغسلته امرأته أسماء بنت عميس بوصية منه ثم دفن مع النبي ﷺ بحجرة عائشة رضي الله عنها. اهـ

حسنة، والأمير الرابع عمرو بن العاص السهمي ويسمون أمراء الأرباع؛ لأن كل واحد منهم معه ربع الجيش، فلما سمع هرقل ملك الشام بقدومهم، قال: والله لأبعثن إليهم جيشاً ينسي أبا بكر صلاته، فلما بلغ ذلك أبا بكر، قال: والله لأبعثن إليه رجالاً يحبون الموت كما تحب النصارى الخمر.

فسار الأمراء الأربعة حتى دخلوا الشام، فأول مدينة حاصروها مدينة بصرى، فكتب الصديق رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد وقد وصل في الفتوحات التي فتحها بالعراق إلى مدينة الأنبار: أن استخلف على الجيش الذي معك أميراً، واقدم أنت ببعض الجيش إلى الشام، وكن أنت الأمير عليهم[1]،

---

١ قال أبو الحسن البلاذري في "فتوح البلدان" (١/ ١٢٨): وكان عقده هذه الألوية يوم الخميس لمستهل صفر سنة ثلاث عشرة، وذلك بعد مقام الجيوش معسكرين بالجرف المحرم كله وأبو عبيدة بن الجراح يصلي بهم، وكان أبو بكر أراد أبا عبيدة أن يعقد له فاستعفاه من ذلك، وقد روى قوم أنه عقد له وليس ذلك يثبت، ولكن عمر ولاه الشام كله حين استخلف.

وجاء عند الواقدي ما يخالف هذا فقال في "فتوح الشام" (١ / ٢٤): إن أبا بكر استخبر عن أبي عبيدة، فقال له عامر: إنه قد أشرف على أوائل الشام ولم يجسر على الدخول إليها وإنه سمع أن جيوش الملك قد اجتمعت من حول أجنادين وهم أمم لا تحصى وقد خاف على المسلمين أن يتوسط بهم عدوهم.

فلما سمع أبو بكر ذلك علم أن أبا عبيدة لين العريكة لا يصلح لقتال الروم وعول أن يكتب إلى خالد بن الوليد ليوليه على جيوش المسلمين وقتال الروم قال: واستشار المسلمين في ذلك فقالوا: الرأي ما تراه، وكتب كتاباً يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عتيق بن أبي قحافة إلى خالد بن الوليد سلام عليك: أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإني قد وليتك على جيوش المسلمين وأمرتك بقتال الروم وأن تسارع إلى مرضاة الله عز وجل وقتال أعداء الله، وكن ممن يجاهد في الله حق جهاده ثم كتب ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ [الصف: ١٠]، الآية وقد جعلتك الأمير على أبي عبيدة ومن معه. وبعث الكتاب مع نجم بن مقدم الكناني فركب على مطيته وتوجه إلى=

فاخترق المهامة والقفار ما بين العراق [إلى][1] الشام في أربعة أيام، وأصبح في اليوم الخامس على ثنية العقاب شرقي دمشق فنصب عليها راية رسول الله ﷺ السوداء المسماة بالعقاب فمن ثَّم سميت هذه الثنية ثنية العقاب ثم نزل فأغار على سرح النصارى وكان يوم عيد لهم فسبى وأخذ أموالاً كثيرة ثم سار إلى الأمراء إلى بصرى فحال ما وصل إليها فتحها صلحاً وأخذ الجيوش وجاء إلى دمشق وحاصرها فكان موقفه ومقامه عند الباب الشرقي منها ووقف أبوعبيدة عند باب الجابية الكبير الغربي ويزيد بن أبي سفيان عند باب الجابية الصغير وإليه باب كيسان أيضاً؛ ففتح خالد رضي الله عنه البلد من الباب الشرقي قهراً، فذهبت النصارى إلى أبي عبيدة وأخذوا منه الأمان خديعة منهم ومكراً، فجعلت الصحابة البلد نصفين نصفاً صلحاً ونصفاً عَنوَةً، ثم فتحوا بقية الشام:

= العراق فرأى خالداً رضي الله عنه قد أشرف على فتح القادسية فدفع إليه الكتاب فلما قرأه قال: السمع والطاعة لله ولخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتحل ليلاً وأخذ طريقة عن اليمين وكتب كتاباً إلى أبي عبيدة يخبره بعزله وبسيره إلى الشام، وقد ولاني أبو بكر على جيوش المسلمين فلا تبرح من مكانك حتى أقدم عليك والسلام. وبعث الكتاب مع عامر بن الطفيل رضي الله عنه، وكان أحد أبطال المسلمين فأخذه وتوجه يطلب الشام. اهـ

قلت: وكما رأيت أن هذه القصة من طريق الواقدي، وهو مخالف لما أثبته ابن كثير أن ابا عبيدة رضي الله عنه كان أمير الأمراء في هذه الغزوة.

[1] في أصل المخطوط غير واضح وبينت في حاشيته من الناسخ وكتب عندها كلمة [بيان] أي بيان للكلمة الغير واضحة، وأخطأ صاحب المطبوعة فأضاف كلمة بيان إلى أصل الكتاب.

حمص وحماة وحلب وقنسرين والعواصم وانطاكيه واطرابلس وجميع السواحل[١].

وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة سبع عشرة ففتح بيت المقدس[٢].

وفتح عمرو بن العاص رضي الله عنه جميع بلاد مصر في سنة عشرين من الهجرة[٣].

---

[١] انظر ذلك في: "تاريخ الإسلام" للإمام الذهبي (٣ / ١٢٣) أحداث سنة أربع عشرة، وقال: قال أبو مسهر: حدثني عبد الله بن سالم قال: سار أبو عبيدة إلى حمص في اثني عشر ألفاً، منهم من السكون ستة آلاف فافتتحها، وعن عثمان الصنعاني قال: لما فتحنا دمشق خرجنا مع أبي الدرداء في مسلحة برزة، ثم تقدمنا مع أبي عبيدة ففتح الله بنا حمص، وورد أن حمص وبعلبك فتحتا صلحاً في أواخر سنة أربع عشرة، وهرب هرقل عظيم الروم من أنطاكية إلى قسطنطينية، وقيل: إن حمص فتحت سنة خمس عشرة. اهـ
وانظر في فتح هذه المدن: "الكامل في التاريخ" (١/ ٤٢٤)، و"تاريخ الرسل والملوك" (٢/ ٣٠٣)، و"بغية الطلب في تاريخ حلب" (١/ ١٧٢)، و"الروضتين في أخبار النورية و الصلاحية" (١/ ٢٥٥)، و"جوامع السيرة" (١/ ٣٤٢).

[٢] انظر فتح بيت المقدس في: "البداية والنهاية" (٧/ ٦٤)، و"الكامل في التاريخ" (١/ ٤٢٧)، و"المنتظم" (١/ ٤٨٥)، و"تاريخ الرسل والملوك" (٢/ ٣٠٧)، و"البدء والتاريخ" (١/ ٣١٣).

[٣] قال ابن الأثير في "الكامل في التاريخ" (١ / ٤٥١): قيل: في هذه السنة – أي سنة عشرين- فتحت مصر في قول بعضهم على يد عمرو بن العاص والإسكندرية أيضاً، وقيل: فتحت الإسكندرية سنة خمس وعشرين، وقيل: فتحت مصر سنة ست عشرة في ربيع الأول، وبالجملة فينبغي أن يكون فتحها قبل عام الرمادة؛ لأن عمرو بن العاص حمل الطعام في بحر القلزم من مصر إلى المدينة، والله أعلم، وقيل غير ذلك.اهـ
انظر في فتح بلاد مصر: "البداية والنهاية" (٧/ ١١١)، و"المنتظم" (٢/ ٣٢)، و"النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" (١/ ١).

وولى معاوية رضي الله عنه إمرة الشام بكماله بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان المذكور في الدولة العمرية وفتح معاوية رضي الله عنه جزيرة قبرس سنة سبع وعشرين من الهجرة في الدولة العثمانية وغنم منهم أموالاً جزيلة وسبايا كثيرة فقسمها بين المسلمين على الوجه الشرعي[1].

واستمرت الجزيرة المذكورة مقهورة بعز الإسلام نحوا من ثلاثمائة سنة يحملون الخراج والجزية إلى المسلمين ويؤخذ من تجارتهم العشر.

وبعث معاوية رضي الله عنه ابنه يزيد في جيش كثيف سنة ثنتين وخمسين من الهجرة فحاصروا مدينة القسطنطينية حصاراً عظيماً وقتلوا خلقاً كثيراً من النصارى فكان أول جيش طرقها من المسلمين[2].

---

[1] قال ابن الأثير في "الكامل في التاريخ" (١/ ٤٨٦): ذكر فتح قبرس، قيل: في سنة ثمان وعشرين كان فتح قبرس على يد معاوية، وقيل: سنة تسع وعشرين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين. اهـ

وقال ابن الجوزي في "المنتظم" (٢/ ٦٣): سنة ثمان وعشرين، فمن الحوادث فيها: فتح قبرس. اهـ

وذكر ابن جرير في "تاريخ الرسل والملوك"(٢/ ٤٣٣): أن القول الأول للواقدي.

[2] وسميت (قسطنطينية) نسبة إلى الإمبراطور الروماني (قسطنطين الأول) الذي جدد بنائها سنة ٣٢٤ للميلاد، وانتقل من مدينة روما إليها واتخذها مقرا له، حاصرها العرب عدة مرات ولم يتمكنوا من فتحها لمناعة حصونها، وكان العرب يسمون أقاليم الدولة البيزنطية في جملتها (بلاد الروم) ثم اختصر اسم (بلاد الروم) إلى (الروم)، ومن ثم صار اسم (الروم) اسما لآسية الصغرى عند العرب، وتعرف باسم (شبه جزيرة الأناضول) التي انتقلت في المائة الخامسة للهجرة (الحادية عشرة للميلاد) إلى أيدي المسلمين باستيلاء السلاجقة عليها، ولم يستطع السلاجقة من فتح القسطنطينية إلى أن انتقل الحكم إلى العثمانيين فتمكن السلطان محمد الثاني من فتح القسطنطينية في ٢٩ مارس سنة ١٤٥٣م، ومن أجل ذلك لقب بالسلطان الفاتح واتخذها ملوك بني عثمان عاصمة لهم حتى سقوط دولتهم سنة ١٩٢٢م، وانتقال الحكم إلى الدولة=

وفتح المسلمون في أيام الوليد بن عبدالملك باني جامع دمشق وفي أيام أخيه سليمان جميع جزيرة الأندلس والجزيرة الخضراء غربيها وجميع بلاد المغرب إلى ساحل المحيط الغربي[١]، واستوسقت الممالك الإسلامية على جميع البلاد شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً كما رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها» رواه مسلم[٢].

= الحديثة التي أنشأها مصطفى كمال (أتاتورك)، كانت القسطنطينية في جميع العهود مركزا دينيا وثقافيا عظيما كما أنها مرفأ تجاري كبير، وظلت بعد انتقال العاصمة منها إلى (أنقرة) أكبر مدينة في تركيا وأعظمها أهمية.

انظر فيما ذكر: "تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية" لابن كثير (١/ ٣٥٦)

١ قال المراكشي في "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" (١ / ٢): افتتح المسلمون جزيرة الأندلس في شهر رمضان سنة (٩٢) من الهجرة، وكان فتحها على يدي طارق قيل: ابن زياد وقيل: ابن عمرو، وكان والياً على طنجة مدينة من المدن المتصلة ببر القيروان في أقصى المغرب بينها وبين الأندلس الخليج المذكور المعروف بالزقاق وبالمجاز رتبه فيها موسى بن نصير أمير القيروان، وقيل: أن مروان بن موسى بن نصير خلف طارقاً هناك على العساكر وانصرف إلى أبيه لأمر عرض له فركب طارق البحر إلى الأندلس من جهة مجاز الجزيرة الخضراء منتهزاً لفرصة أمكنته وذلك أن الذي كان يملك ساحل الجزيرة الخضراء وأعمالها من الروم خطب إلى الملك الأعظم ابنته فأغضب ذلك الملك ونال منه وتوعده فلما بلغه ذلك جمع جموعاً عظيمة وخرج يقصد بلد الملك فبلغ طارقاً خلو تلك الجهة فهذه الفرصة التي انتهزها...إلخ

وللكلام بقية يرجع إليه في المصدر المشار إليه، وانظر: "الكامل في التاريخ" (٢/ ٣٣٩)، و"المنتظم" (٢/ ٦٣)، و"تاريخ الرسل والملوك "(٤/ ٣٨)، و"جوامع السيرة" (١/ ٣٤٤)، و"فتوح البلدان" (١/ ٢٧٣).

٢ حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ،رواه مسلم برقم (٢٨٨٩) وأبوداود برقم (٤٢٥٢) والترمذي برقم (٢١٧٦)، وابن ماجه برقم (٣٩٥٢).

وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا هلك كسر فلا كسر بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»[1].

واستقرت هذه الممالك في أيدي المسلمين إلى حدود الخمسمائة من الهجرة فلما كان في سنة بضع وتسعين وأربعمائة وقد ضعفت الدولة الشامية والمصرية في الدولة الفاطمية تدنت الفرنج لعنهم الله إلى بعض السواحل فملكوها فمن ذلك: مدينة انطاكيه[2]، واطرابلس وتلك السواحل المناحية للبحر[3]، ودخل ملكهم كندهري لعنهم الله[4]، فأخذ بيت المقدس المطهر يوم جمعة[5]، فجمع ممن

---

١ حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، رواه البخاري برقم (٣١٢١)، ومسلم برقم (٢٩١٩).

٢ قال سبط ابن الجوزي في "مرآة الجنان" (١/ ٣٠٦): كان خروجهم أولاً إلى بلد أنطاكية فلم ينازلوها وجاءوا إلى المعرة فنصبوا عليها السلالم ونزلوا فقتلوا من أهلها مائة ألف إنسان وسبوا مثل ذلك، ثم دخلوا كفرطاب وفعلوا مثل ذلك وعادوا إلى أنطاكيا.. اهـ وانظر تكملة الهجوم عليها في المصدر المشار إليه.

٣ وفي سنة (٤٩٤)هـ افتتح الفرنج جملة من بلاد الساحل منها: حيفا، وأرسوف، وقيسارية، أخذوها بالسيف وقتلوا أهلها. انظر المصدر السابق (١/ ٣٦٨).

٤ هو: جودفري بوايون، ويقال له أيضاً: كندفري أو كندهري: أول قائد صليبي ملك بيت المقدس، وذكر أنه قتل بسهم غرب في إغارته على مدينة (عكا) كما ذكر ذلك سبط ابن الجوزي في "مرآة الجنان" (١/ ٣٦٦)، وذكر محقق الكتاب المذكور: أنه ذكر في الكتب اللاتينية أنه مات بالحمى.

قلت: ولعله -لعنه الله- مات بالحمى من أثر ذلك السهم الذي قتله الله به.

٥ صلاح الدين السلطان الملك الناصر أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان بن يعقوب الدويني الأصل التكريتي المولد ولد في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، وكان خليقاً للملك شديد الهيبة محبباً إلى الأمة عالي الهمة كامل السؤدد جم المناقب ولي السلطنة عشرين سنة وتوفي بقلعة دمشق في السابع والعشرين من صفر=

فيه من العباد والزهاد والقاطنين به من المسلمين نحوا من سبعين ألفاً فقتلهم في صبيحة واحدة رحمهم الله ولعن الله كندهري وقومه.

واستمر بيت المقدس المطهر في أيديهم نحوا من تسعين سنة حتى انتزعه من أيديهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله، سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة[١]، واسترجع ما كانوا استحوذوا عليه من بلاد غزة ونابلس وعجلون والغور وبلاد الكرك والشوبك وما إليه من البلاد واسترد منهم صفد وأكثر السواحل البحرية إلا عكا وصور فاقتدى به الملوك بعده فاستنقذوا منهم بقية السواحل حتى كان أخرها عكا فتحها الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون رحمه الله[٢]، وذلك في سنة تسعين وستمائة فلم يبق

= وارتفعت الأصوات بالبلد بالبكاء وعظم الضجيج حتى أن العاقل تخيل أن الدنيا كلها تصبح صوتاً واحداً وكان أمراً عجباً رحمه الله تعالى انتهى.

ويقول كاتبه: ودفن بالقلعة ثم نقل منها إلى تربة بنيت له لصيق دار أسامة التي بناها ولده الملك العزيز مدرسة المعروفة الآن بالعزيزية شمالي دار الحديث الفاضلية بالكلاسه لضيق الجامع الأموي من جهة الشمال بالقرب من الزاوية الغزالية.

وانظر ترجمته في: "السلوك في معرفة دول الملوك" (١/ ١٤٨)، "مختصر تاريخ دمشق" (٨/ ٢٦٩)، "الدارس في تاريخ المدارس" (١/ ١٣٧).

١ انظر فتح بيت المقدس زمن صلاح الدين الأيوبي: "السلوك لمعرفة دول الملوك" (١/ ١٨)، و"البداية والنهاية" (١٢/ ٣٩١)، و"الكامل في التاريخ" (٥/ ١٦٩)، و"زبدة الحلب في تاريخ حلب" (١/ ١٤٥)، و"المختصر في أخبار البشر" (١/ ٣٥٨).

٢ قال الذهبي في "تاريخ الإسلام" (٥٢/ ١٨٠): خليل بن قلاوون، السلطان الملك الأشرف، صلاح الدين، ولد السلطان الملك المنصور سيف الدين، الصالحي النجمي، جلس على تخت الملك في ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة، واستفتح الملك بالجهاد، وسار فنازل عكا وافتتحها، ونظف الشام كله من الفرنج، ثم سار في السنة الثانية فنازل قلعة الروم، وحاصرها خمسة وعشرين يوماً، وافتتحها، وفي السنة الثالثة جاءته مفاتيح بهنسا من غير قتال إلى دمشق، ولو طالت حياته لأخذ العراق وغيرها؛ فإنه كان بطلاً شجاعاً، مقداماً، مهيباً، عالي الهمة يملأ العين، ويرجف القلب. =

للفرنج في السواحل جليل ولا حقير ولا مقدار قطمير ولا فتيل ولا نقير ولله الحمد والمنة وبه التأييد والعصمة[1].

فزعم الذين كفروا ومن هؤلاء الفرنج لعنهم الله بما حدثتهم به أمانيهم الكاذبة أنهم يسترجعون ما كان بأيدي أسلافهم لعنهم الله من هذه السواحل المذكورة وهيهات كذبت والله الظنون وخزي الكافرون والله حائل بينهم وبين ما يشتهون، ليست هذه الدول كمن تقدم ذكرهم من الدول الضعيفة التي

= رأيته مرات، وكان ضخماً، سميناً، كبير الوجه، بديع الجمال، مستدير اللحية، على صورته رونق الحسن وهيبة السلطنة، وكان إلى جوده وبذله للأموال في أغراضه المنتهى، وكان مخوف السطوة، شديد الوطأة، قوي البطش، تخافه الملوك في أمصارها والوحوش العادية في آجامها، أباد جماعة من كبار الدولة، وكان منهمكاً على اللذات لا يعبأ بالتحرز على نفسه لفرط شجاعته، وما أحسبه بلغ ثلاثين سنة، ولعل الله عز وجل قد عفا عنه وأوجب له الجنة على كثرة ما فرط في جنب الله، نسأل الله العفو والعافية.

انظر في ترجمته: "المختصر في أخبار البشر" (١/ ٤٧٧)، و"النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" (٢ / ٣٧٢)، و"فوات الوفيات" (١/ ٤٠٦).

[1] قال ابن كثير في "البداية والنهاية" (١٣/ ٣٧٨): صمم السلطان -أي الخليل بن المنصور بن قلاوون- على الحصار- أي عكا- فرتب الكوسات ثلاثمائة حمل، ثم زحف يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ودقت الكوسات جملة واحدة عند طلوع الشمس، وطلع المسلمون على الأسوار مع طلوع الشمس، ونصبت السناجق الإسلامية فوق أسوار البلد، فولت الفرنج عند ذلك الأدبار، وركبوا هاربين في مراكب التجار، وقتل منهم عدد لا يعلمه إلا الله تعالى، وغنموا من الأمتعة والرقيق والبضائع شيئا كثيرا جدا، وأمر السلطان بهدمها وتخريبها، بحيث لا ينتفع بها بعد ذلك، فيسر الله فتحها نهار جمعة، كما أخذتها الفرنج من المسلمين في يوم الجمعة، وسلمت صور وصيدا قيادتهما إلى الأشرف، فاستوثق الساحل للمسلمين، وتنظف من الكافرين، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين. اهـ

وانظر فتح هذه المدن: "تاريخ الإسلام" للإمام الذهبي (٤٩/ ٢٣)، "فوات الوفيات" (١/ ٤٠٦).

استحوذوا في أيامهم على ما ذكرناه من السواحل؛ هؤلاء أكثر عَدداً وعُددًا وأعز ملكاً وأشد بأساً وأشد تنكيلاً.

وزعم صاحب قبرس لعنه الله أنه سيعود ملك بيت المقدس إليهم ولا سبيل لهم إلى ذلك مرة أخرى أبد الآبدين ودهر الداهرين[١]، وهذه بشارة أبشر

[١] قال الإمام الذهبي في "تاريخ الإسلام" (٤٠/ ٥٤): وقد ذكر صاحب الروضتين أن الفقيه مجد الدين بن جميل الحلبيّ الشافعيّ وقع إليه تفسير القرآن لأبي الحكم بن برّجان، فوجد فيه عند قوله تعالى: ﴿ألم * غلبت الروم﴾ أنّ الرّوم يغلبون في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، ويفتح البيت المقدس، ويصير داراً للإسلام إلى آخر الأبد. واستدلّ بأشياء في كتابه، فلما فتحت حلب على يد السلطان صلاح الدين، كتب إليه المجد بن جميل ورقة يبشّره بفتح القدس على يديه، ويعيّن فيها الزمان، وأعطاها للفقيه عيسى، فلم يتجاسر أن يعرضها على السلطان، وحدّث بها فيها لمحيي الدين، وكان واثقاً بعقل المجد وأنّه لا يقول هذا حتّى تحققه، فعمل القصيدة التي فيها هذا البيت، فلما سمعه السلطان بهت وتعجّب، فلما اتفق له فتح القدس في رجب، سار المجد مهنّئاً، وذكر له حديث الورقة، فتعجّب، وقال: قد سبق إلى ذلك محيي الدين، غير أني أجعل لك حظّاً، ثم جمع له من في العسكر من الفقهاء والصّلحاء، ثم أدخله بيت المقدس، والفرنج بعد فيه لم ينظّف منهم، وأمره أن يذكر درساً على الصّخرة، فدخل ودرّس هناك، وحظي بذلك.

ثم قال أبو شامة: وقفت أنا على ما فسره ابن برّجان من أن البيت المقدس استولت عليه الروم عام سبعة وثمانين وأربعمائة، وأشار إلى أنّه يبقى بأيديهم إلى تمام خمسمائة وثلاث وثمانين سنة.

قال أبو شامة: وهذا الذي ذكره أبو الحكم من عجائب ما اتّفق، وقد تكلّم عليه شيخنا السّخاويّ فقال: وقع في تفسير أبي الحكم أخبار عن بيت المقدس، وأنّه يفتح في سنة ثلاث وثمانين.

قال: فقال لي بعض الفقهاء: إنّه استخرج ذلك من فاتحة السّورة، فأخذت السّورة، وكشفت عن ذلك، فلم أره أخذ ذلك من الحروف، وإنّما أخذه فيما زعم من ﴿غلبت الرّوم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾ فبنى الأمر على التاريخ كما يفعل المنجّمون، ثم ذكر أنهم يغلبون في سنة كذا، وفي سنة كذا. =

بها جميع المؤمنين لشيء استنبطته من الكتاب العزيز المبين وسنة سيد المرسلين ﷺ وعلى آله أجمعين[1].

* أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا * عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٤ - ٨]، فذكر تبارك وتعالى أنه سلط على بني إسرائيل بذنوبهم عدوا من سواهم فقتل من المقاتلة خلقاً كثير وسبى من الذرية جماً غفيراً وهذا المسلط عليهم فيما ذكره أكثر المفسرين بختنصر صاحب العراق، وقيل: نائبه؛ هذا في المرة الأولى كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ثم ذكر

= وهذه نجامة وافقت إصابة إن صحّ أنّه قال ذلك قبل وقوعه، وليس ذلك من الحروف، ولا هو من قبيل الكرامات؛ فإنّ الكرامات لا تكتسب، ولا تفتقر إلى تاريخ، ولذلك لم يوافق الصّواب لمّا أراد الحساب على القراءة الأخرى الشّاذّة وهي غلبت بالفتح، ولو صحّ ذلك، لأنّه قال في سورة القدر: لو علم الوقت الذي نزل فيه القرآن لعلم الوقت الذي يرفع فيه، فهذا ما ذكره. اهـ

[1] أما ما ذكره ابن كثير من الفقه العظيم ليس كحال من ذكرناه من التنجيم، بل إن دل على شيئ دل على فقه واسع في الاستنباط من الأدلة، لكن لم يكن الأمر كما قاله ابن كثير رحمه الله في بيت المقدس خاصة، وإن كان ما قاله في بقية المدن الأخرى هو الحاصل. فالله المستعان، وعسى أن يمن الله عزوجل على المسلمين من يخرج هذه البلاد المقدسة من أيدي هؤلاء الأنجاس الأرجاس عليهم لعنة الله.

تعالى أن في المرة الثانية أراد الأعداء أن يفعلوا معهم كما فعلوه أول مرة فذكر تعالى أنه رحمهم فلم يسلط عليهم عدوهم بل أجارهم من ذلك وأدلهم على أعداهم، فنحن أيضاً أيتها الأمة المحمدية قد ابتلينا في بيت المقدس باستحواذ الأعداء عليه في حدود الخمسمائة سنة وأنه استمر في أيديهم تسعين سنة حتى أنقذه الله من أيديهم على يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف كما تقدم فليس لهم إليه بعد ذلك سبيل إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان؛ لأن هذه الأمة أحق بكل خير وعز ونصر من جميع الأمم المتقدمة لشرفها بشرف نبيها على سائر النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا الأمة أكثر عدداً وعُددا وأعز جنداً وأعلم مهلة وأوسع بلاداً ممن تقدمهم بكثير كثير.

* وأما السنة: فقد ثبت في صحيح مسلم وغيره في حديث النواس بن سمعان وغيره رضي الله عنهم[١]، في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان من السماء على المنارة الشرقية بدمشق وهي محاصرة بجيوش الدجال وقت صلاة الفجر وقد أقيمت الصلاة فيقول له إمام المسلمين: تقدم يا روح الله فيقول: لا إنما أقيمت الصلاة لك،[٢] فيصل وراء إمام المسلمين تكرمة الله

---

[١] حديث النواس، رواه مسلم برقم (٢٩٣٧)، وأبوداود برقم (٤٣٢١)، والترمذي برقم (٢٢٤٠)، وابن ماجه برقم (٤٠٧٦).

[٢] جاء في حديث أبي أمامة الباهلي عند ابن ماجه برقم (٤٠٧٧) وفيه ذكر: الصلاة بعيس ابن مريم عليه السلام من ذلك الإمام.
قال ابن كثير في "البداية والنهاية" (١٩/ ١٥٢): وقع تخبيط في إسناده لهذا الحديث، فكما وجدته في نسخة كتبت إسناده، وقد سقط التابعي منه وهو عمرو بن عبد الله الحضرمي أبو عبد الله الجبار الشامي المرادي عن أبي أمامة، قال شيخنا الحافظ المزي: ورواه ابن ماجه في الفتن عن علي بن محمد، عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن أبي رافع =

هذه الأمة ثم يكون عيسى عليه السلام في هذه الأمة بمنزلة الإمام الأعظم، كما ثبت في الصحيحين: «لينزلن عيسى بن مريم إماما عدلاً وحكماً مقسطاً فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية»[1] «ولا يقبل إلا الإسلام»[2] بمعنى أنه لا يقبل من كافر جزية ولا يقبل منه إلا الإسلام أو السيف فمن لم يسلم قتل كما جاء في رواية: « لا يقبل إلا الإسلام أو السيف»[3]، وهذه أخبار رسول الله ﷺ عما يفعله عيسى عليه السلام وتشريع وتسويغ[4]، ثم ينهض عيسى عليه السلام

= إسماعيل بن رافع، عن أبي عمرو الشيباني زرعة، عن أبي أمامة بتمامه كذا قال، وكذا رواه سهل بن عثمان عن المحاربي، وهو وهم فاحش.

قلت: وضعفه العلامة الألباني في "ضعيف ابن ماجه" (٨٨٤).

وجاء من حديث عثمان بن أبي العاص عند أحمد في المسند (٤/ ٢١٦) وفيه: علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف في الشواهد.

١ أخرجه البخاري برقم (٢٢٢٢)، ومسلم برقم (١٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه.

٢ بنحوه عند أحمد (٢/ ٤٠٦) وأبوداود (٤٣٢٤)، والطيالسي في مسنده برقم (٢٥٧٥).

[3] لم أر هذه الرواية بهذا اللفظ مع كثرة البحث عنها، ولكن كما أشرت أنه معناها عند أحمد وغيره.

٤ قال ابن كثير في "النهاية في الفتن والملاحم" (١/ ٦٦) وكذا في "البداية والنهاية" (١٩/ ٢٢٩): هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق؟ وقد رأيت في بعض الكتب أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق فلعل هذا هو المحفوظ، وتكون الرواية فينزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق فتصرف الراوي في التعبير بحسب ما فهم، وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي، وهذا هو الأنسب والأليق، لأنه ينزل وقد أقيمت الصلاة فيقول له: يا إمام المسلمين، يا روح الله، تقدم، فيقول: تقدم أنت فإنها أقيمت لك، وفي رواية بعضكم على بعض أمراء، يكرم الله هذه الأمة.

وقد جدد بناء المنارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من حجارة بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة حيث قيض الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال النصارى حتى =

بمن معه من المسلمين نحو الدجال فيفر منه فيتبعه حتى يدركه باب لد فيقتله بحربته كما بسطت ذلك في كتاب "الفتن والملاحم"[١]، والمقصود أنه قال في حديث النواس بن سمعان: فيوحي الله إلى عيسى بن مريم أن قد أخرجت عباداً من عبادي لا يدان لأحد بقتالهم، فحصن عبادي في جبل الخَمَر يعني جبل بيت المقدس فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله فيهم فيصبحون فرسى لموت رجل واحد» الحديث. فهذا دليل على بقاء بيت المقدس في أيدي المسلمين إلى ذلك الحين ليكون موئلاً ومعقلاً لهم عند خروج يأجوج ومأجوج ولله الحمد والمنة، وكذلك فيما ذكرنا دليل على أن مدينة دمشق لا تزال دار إيمان وأمان وقرار حتى ينزل عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه فيها على منارتها الشرقية البيضاء المعمورة بتوحيد الله الشاهقة المنيرة الزهراء، وذلك بعد فتح المسلمين مدينة القسطنطينية التي هي أعظم معاقل الروم[٢]، وقرار ملكهم

= ينزل عيسى ابن مريم عليها فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل منهم جزية، ولكن من أسلم قبل من إسلامه ومن لم يسلم قتله، وكذلك حكمه في سائر كفار أهل الأرض يومئذ، فإنه لا يبقى حكم في أهل الأرض إلا له، وهذا من باب الإخبار عن المسيح بذلك، فإن الله قد سوغ له ذلك وشرعه له، فإنه إنما يحكم بمقتضى هذه الشريعة المطهرة. اهـ

١ وهو كتاب مطبوع للمصنف رحمه الله منفصل وأيضاً ضمن "البداية والنهاية" في التاريخ، وهذه الإشارة التي ذكرناها في مقدمة الكتاب في صحة نسبة هذه الرسالة إلى ابن كثير رحمه الله.

٢ بوب النووي في "شرحه على مسلم" (١٤ / ٨٥): باب: في فتح قسطنطينية، وخروج الدجال ونزول عيسى، ثم ذكر ما رواه مسلم عن أبي هريرة برقم (٢٨٩٧) وفيه: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدا =

الأكبر بعد ملاحم كثيرة بين المسلمين وبين بني الأصفر كما هو مبسوط في غير ما حديث عن أفضل من سبح الله وحمده وهلل وكبر محمد بن عبدالله الصادق المصدوق ورسول الله إلى الأسود والأحمر صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وآل كل سائر الصالحين ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين[1].

تم كتاب الاجتهاد في طلب الجهاد

تأليف الشيخ عماد الدين ابن كثير الدمشقي.. الصالحي

= فيفتتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فأمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته ».

[1] تم الانتهاء من تحقيق مادة هذه الرسالة في يوم الأحد العاشر من شهر ربيع الأول سنة (١٤٣١) هـ وكان ذلك في مدينة العلم: دماج في بلاد صعدة حرسها الله من كل شر، ودفع عنا وعن المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يدفع عنا شر الرافضة الزنادقة إنه القادر عليه، وصلى على عبده ورسوله محمد وعلى آله وسلم.

حققها:

العبد الفقير إلى عفو ربه:

كمال بن ثابت بن قائد الحمودي ثم العدني